إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام / العدد (١٣٧)

وقفات
مع ابن تيمية الحرّاني

عرض ونقد موجز لأهم شبهاته حول الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام

تأليف

الشيخ عبد العالي المنصوري

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ – ٢٠١١م

لمعرفة المزيد حول دعوة السيد أحمد الحسن عليه السلام

يمكنكم الدخول إلى الموقع التالي :

www.almahdyoon.org

الإهداء

إلى أنصار الله الذين أُودعِوا في قعر السجون وظلم المطامير . . .

إلى الذين تنظر إليهم عيون أمهاتهم وزوجاتهم وأولادهم وأخوتهم وأخواتهم وهم مغيبون . . .

أهدي هذا الجهد البسيط في هذا العيد الذي يمر وعيون أحبائكم إليكم شاخصة فلكم ولأحبائكم الذين احترقت قلوبهم ألماً لفراقكم .

إلى أولادكم . . .

إلى أمهاتكم . . . .

إلى زوجاتكم . . .

إلى إخوتكم . . . .

إلى أخواتكم . . . .

الذين جاءهم العيد وأنتم عنهم مغيبون .

أسأل الله أن يكون فرجكم قريباً وآية للعالمين، ولا تنسوا خادمكم من دعائكم وشفاعتكم .

خادمكم

عبد العالي

ليلة الأربعاء؛ ليلة عيد الفطر المبارك/ ١٤٣٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هناك إشكالية أساسية تعاني منها البشرية اليوم وقبل اليوم، ولكن نراها في زماننا قد أخذت تتفشى وتنتشر بشكل منقطع النظير، وهي إشكالية الفراغ الروحي والعقيدي مما جعلها تتخبط في كثير من الأمور الواضحة المدلل عليها في القرآن الكريم وفي التراث الإسلامي الذي ورثناه من النبي ﷺ وعترته الهادية عليهم السلام.

ونتيجة التخبط والفوضى التي طغت على جميع الأصعدة الحياتية غاب الحوار العلمي الهادف وغُيّب قوله سبحانه: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**﴾[1]، ولما غُيب ذلك حل محله ما قاله نوح عليه السلام واصفاً قومه: ﴿**...جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً**﴾[2].

فحلت بدل لغة الحوار العلمي لغة الاستكبار والالتفاف على الحقائق العلمية والاعتقادات المصيرية التي لها كبير الأثر في تحديد مصير الإنسان وتنظيم سلوكه، ومن هنا راح الأغلب يردد (لا نتعقل هذا ولا ينقاد هذا) كما أخبرنا أهل البيت عليهم السلام.

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عمن ذكره، عن يونس بن يعقوب، قال: (كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام فقال: إني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة أصحابك، فقال أبو عبد الله عليه السلام: **كلامك من كلام رسول الله ﷺ أو من عندك ؟** فقال: من كلام رسول الله ﷺ ومن عندي، فقال أبو عبد الله: **فأنت إذاً شريك رسول الله ؟** قال: لا، قال: **فسمعت الوحي عن الله ﷻ يخبرك ؟** قال: لا، قال: **فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله ﷺ ؟** قال: لا، فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إليّ فقال: **يا يونس بن يعقوب، هذا قد خصم نفسه قبل أن يتكلم.** ثم قال: **يا يونس، لو كنت تحسن الكلام كلمته،** قال يونس: فيالها من حسرة، فقلت: جعلت فداك، إني سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويل لأصحاب الكلام يقولون، هذا ينقاد وهذا لا ينقاد، وهذا ينساق وهذا لا

١- الزمر: ١٨.
٢- نوح: ٧.

ينساق، وهذا نعقله وهذا لا نعقله، فقال أبو عبد الله عليه السلام: **إنما قلت: فويل لهم إن تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يريدون**... الخ) [١].

وهذا ما تحقق بالفعل، فتركت أغلب الناس العترة الهادية وراحت تردد ينقاد ولا ينقاد ونتعقل ولا نتعقل !!

ونتيجة عدم تعقل العقول الضعيفة لكثير من الحقائق الغيبية الثابتة في القرآن والتراث الإسلامي من جهة، ووجود الاشخاص الغيبيين الذين جعلوا قوله سبحانه: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[٢].

﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾[٣] ميزاناً لهم؛ حصلت الكثير من المشاجرات بدل لغة الحوار العلمي الهادف الذي تحكمه قوانين الشريعة الإسلامية، فأصبحت لغة العنف والتسفيه هي اللغة التي يحتكم إليها الأغلب في زماننا مما جعل الأمة تعيش حالة التشويش الفكيري البعيد عن التعاليم السماوية فأصبح: ﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾[٤]، في الوقت الذي يقرّر الله سبحانه الحقيقة جلية واضحة قائلاً: ﴿**فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[٥]. فالفلج والفوز والغلبة لحزب الله الذين يتولون الله ورسوله صلى الله عليه وآله، ﴿**وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾.

إذن، المعيار والميزان لابد أن يكون من الله ومن رسوله صلى الله عليه وآله، هذا هو المعيار السماوي الذي جعله الله سبحانه.

لكن اليوم رُفض المعيار السماوي وحل محله معيار التعقل البشري وعدمه، فما تعقله فلان يكون حقيقة ثابتة وإن تنكّرت لها الشرائع الإلهية، وما لم يتعقله يصبح فرية وإن جاء في الشرائع الإلهية !!

١- الكافي: ج١ ص١٧١.
٢- البقرة: ٢.
٣- البقرة: ٣.
٤- المؤمنون: ٥٣.
٥- المائدة: ٥٦.

فغابت الموازين السماوية وحلّت محلّها الموازين البشرية التي أسستها بعقولها الناقصة، وبهذا ضاعت الحقائق السماوية المعرفية على الكثير من الناس مما جعل الضرورة قاضية بوجود مصلح يعيد الأمة إلى رشدها ودينها القويم، فجاءت الرحمة الإلهية اليوم ببركة الوجود المبارك للإمام أحمد الحسن عليه السلام وصي ورسول الإمام المهدي محمد بن الحسن عليه السلام لانتشال الناس مما هم فيه من الضياع والحيرة والتشتت وتوحيدهم على شريعة الله الإسلام السمحاء بعد أن كانوا أحزاباً متفرقين فتجعلهم جميعاً حزب الله المفلح، إلاّ أنّ سنن الله سبحانه قاضية بكون هذه الأمة ستحذوا حذو الأمم السابقة حذو القُذة بالقُذة والنعل بالنعل.

فكما كفر أولئك فقد كفر الكثير اليوم بخليفة الله الذي لم يأتِ إلا لأجل إحياء الدين وإماتة البدع والأهواء، فاتبعت الناس أهواءها وجعلت أصابعها في آذانها استكباراً منها عن سماع كلمة الحق التي يقولها داعي الله وخليفته.

ونتيجة هذه الأهواء والتفكير المشوش نتجت الكثير من الإشكالات بسبب الهوى تارة وعدم التعقل وعدم الانقياد تارة أخرى، وهكذا ... تاركين كل الدلائل الواضحة والبينات الجلية متمسكين بأوهام عشعشت في أذهانهم !!

ومن هنا راح ابن تيمية وأشباهه من الذين ملأت عيونهم وآذانهم الإشكالات يتنكرون للحقائق الثابتة وتسفيهها والطعن بها بشتى الطرق والوسائل المتاحة لهم من تكذيب تارة وافتراء أخرى واجتهاد ثالثة وهكذا ...

ومن أهم ما اهتم به هؤلاء المرضى؛ الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام وهو الإمام محمد بن الحسن العسكري روحي فداه، خليفة الله الأعظم خير من على الأرض.

فتارة ينفون ولادته الثابتة بالقطع واليقين، وتارة يجعلون بقاءه لهذا الفترة الطويلة حياً من المستحيل، وثالثة يسفهون أصل الاعتقاد بحياته بفرية السرداب التي هي من نتاج عقولهم الضعيفة، وهكذا بلا حياء وبلا خجل راحوا يصورون بقاءه عليه السلام حياً إلى الآن كالعنقاء التي يعتبر وجودها وهماً، مع بيان الله الشافي وسننه في الصالحين من عباده من قبل، وهذا ما صرّح به أئمة الهدى عليهم السلام.

روى الشيخ الصدوق: حدثنا محمد بن علي حاتم النوفلي المعروف بالكرماني، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن عيسى الوشاء البغدادي، قال: حدثنا أحمد بن طاهر (القمي)، قال: حدثنا محمد بن بحر بن سهل الشيباني، قال: أخبرنا علي بن الحارث، عن سعيد ابن منصور الجواشني، قال: أخبرنا أحمد بن علي البديلي، قال: أخبرنا أبي، عن سدير الصيرفي، قال: دخلت أنا والمفضل بن عمر، وأبو بصير، وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: (... **إنّ الله تبارك وتعالى أدار للقائم منا ثلاثة أدارها في ثلاثة من الرسل عليهم السلام قدر مولده تقدير مولد موسى عليه السلام، وقدر غيبته تقدير غيبة عيسى عليه السلام، وقدر إبطاءه تقدير إبطاء نوح عليه السلام، وجعل له من بعد ذلك عمر العبد الصالح أعني الخضر عليه السلام دليلاً على عمره**، فقلنا له: اكشف لنا يا ابن رسول الله عن وجوه هذه المعاني.

قال عليه السلام: **أمّا مولد موسى عليه السلام فإنّ فرعون لما وقف على أنّ زوال ملكه على يده أمر بإحضار الكهنة فدلوه على نسبه وأنه يكون من بني إسرائيل، ولم يزل يأمر أصحابه بشق بطون الحوامل من نساء بني إسرائيل حتى قتل في طلبه نيفاً وعشرين ألف مولود، وتعذّر عليه الوصول إلى قتل موسى عليه السلام بحفظ الله تبارك وتعالى إياه، وكذلك بنو أمية وبنو العباس لما وقفوا على أن زوال ملكهم وملك الأمراء والجبابرة منهم على يد القائم منا ناصبونا العداوة، ووضعوا سيوفهم في قتل آل الرسول صلى الله عليه وآله وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلى قتل القائم، ويأبى الله عزّ وجلّ أن يكشف أمره لواحد من الظلمة إلاّ أن يتم نوره ولو كره المشركون.**

وأمّا غيبة عيسى عليه السلام: فإنّ اليهود والنصارى اتفقت على أنّه قتل فكذبهم الله جل ذكره بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[1]، كذلك غيبة القائم فإنّ الأمة ستنكرها لطولها، ...

وأمّا إبطاء نوح عليه السلام: فإنه لما استترلت العقوبة على قومه من السماء بعث الله عزّ وجلّ الروح الأمين عليه السلام بسبع نويات، فقال: يا نبي الله، إن الله تبارك وتعالى يقول لك: إنّ هؤلاء خلائقي وعبادي ولست أبيدهم بصاعقة من صواعقي إلا بعد تأكيد الدعوة وإلزام

١- النساء: ١٥٧.

الحجة فعاود اجتهادك في الدعوة لقومك فإني مثيبك عليه وأغرس هذه النوى فإنّ لك في نباتها وبلوغها وإدراكها إذا أثمرت الفرج والخلاص، فبشر بذلك من تبعك من المؤمنين. فلما نبتت الأشجار وتأزرت وتسوقت وتغصنت وأثمرت وزها التمر عليها بعد زمان طويل استنجز من الله سبحانه وتعالى العدّة، فأمره الله تبارك وتعالى أن يغرس من نوى تلك الأشجار ويعاود الصبر والاجتهاد، ويؤكد الحجة على قومه، فأخبر بذلك الطوائف التي آمنت به فارتد منهم ثلاثمائة رجل وقالوا: لو كان ما يدعيه نوح حقاً لما وقع في وعد ربه خلف. ثم إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل يأمره عند كل مرة بأن يغرسها مرة بعد أخرى إلى أن غرسها سبع مرّات فما زالت تلك الطوائف من المؤمنين، ترتد منه طائفة بعد طائفة إلى أن عاد إلى نيف وسبعين رجلاً فأوحى الله تبارك وتعالى عند ذلك إليه، وقال: يا نوح الآن أسفر الصبح عن الليل لعينك حين صرح الحق عن محضه وصفي (الأمر والإيمان) من الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة، فلو أني أهلكت الكفار وأبقيت من قد ارتد من الطوائف التي كانت آمنت بك لما كنت صدقت وعدي السابق للمؤمنين الذين أخلصوا التوحيد من قومك، واعتصموا بحبل نبوتك بأن أستخلفهم في الأرض وأمكن لهم دينهم وأبدل خوفهم بالأمن لكي تخلص العبادة لي بذهاب الشك من قلوبهم، وكيف يكون الاستخلاف والتمكين وبدل الخوف بالأمن مني لهم مع ما كنت أعلم من ضعف يقين الذين ارتدوا وخبث طينهم وسوء سرائرهم التي كانت نتائج النفاق، وسنوح الضلالة فلو أنهم تسنموا مني الملك الذي أوتي المؤمنين وقت الاستخلاف إذا أهلكت أعداءهم لنشقوا روائح صفاته ولاستحكمت سرائر نفاقهم تأبدت حبال ضلالة قلوبهم، ولكاشفوا إخوانهم بالعداوة، وحاربوهم على طلب الرئاسة، والتفرد بالأمر والنهي، وكيف يكون التمكين في الدين و انتشار الأمر في المؤمنين مع إثارة الفتن وإيقاع الحروب كلا ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[1].

١- هود: ٣٧.

قال الصادق عليه السلام: **وكذلك القائم فإنه تمتد أيام غيبته ليصرح الحق عن محضه ويصفو الإيمان من الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسوا بالاستخلاف والتمكين والأمن المنتشر في عهد القائم عليه السلام.**

وأمّا العبد الصالح أعني الخضر عليه السلام فإنّ الله تبارك وتعالى ما طول عمره لنبوة قدّرها له، ولا لكتاب يترله عليه، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبله من الأنبياء، ولا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له، بلى إنّ الله تبارك وتعالى لما كان في سابق علمه أن يقدر من عمر القائم عليه السلام في أيام غيبته ما يقدر، وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول، طول عمر العبد الصالح في غير سبب يوجب ذلك إلاّ لعلة الاستدلال به على عمر القائم عليه السلام وليقطع بذلك حجة المعاندين لئلا يكون للناس على الله حجة) [١].

ولا يبقى بعد هذا البيان أي مجال للشك، إلا أن النفوس التي جُبلت على التشكيك لا تترك شيئاً إلا وحاولت التشكيك به، لا لأنه قابل للتشكيك بل لأنّ النفوس مريضة، ولذا دفع أهل البيت عليهم السلام الإشكالات المتصورة وحاولوا تذليلها بربطها بما جرى على الصالحين من عباد الله وخلفائه السابقين، وعلاوة على ذلك قد بيّن آل محمد كل ما يتعلق بالإمام الثاني عشر؛ محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، فأكدوا أصل قضية المهدي عليه السلام وبينوا نسبه وولادته وغيبته، وعلامات ظهوره، والاختلاف والفتن التي تسبق ظهوره، وهكذا .. وبعد هذا البيان لا يصمد أي إشكال.

فهل بعد الحق إلا الضلال ؟!!

قال عزّ وجلّ: **﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ﴾** [٢].

١- كمال الدين: ص٣٥٢.
٢- الرعد: ١٧.

وسيحق الله الحق بكلماته محمد ﷺ وآله عليهم السلام ويقطع دابر الكافرين، ﴿وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾[1].

نسأل الله أن لا يجعل بلاءنا في ديننا ويثبت أقدامنا وينصر بنا دينه في زمن عزّ فيه الناصر إنه سميع مجيب.

وأسأله سبحانه أن يكون في هذا البحث المتواضع فائدة لمن أرادها وطلبها، كما وأسأله سبحانه العفو عن تقصيري بين يدي وليه الشريد الطريد الإمام المجهول والقائم المأمول أحمد الحسن روحي فداه.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآل محمد الأئمة والمهديين وسلم تسليماً كثيراً.

١ـ الأنفال: ٧.

تمهيد

- **أخطاء منهجية:**

مما لا شك فيه أنّ لكل شيء ميزان يُعرف به الحق من غيره، ومن هنا لابد أن تدرس المسائل العلمية طبقاً لموازين يقرّها العقل السليم والفطرة النقية، لكي يرتفع مستوى النقاش إلى الهدف الأسمى؛ وهو اكتشاف الحقيقة ومعرفة الحق من الباطل، ويتجنب الإنسان ضياع الوقت والعمر في السجال العقيم الذي لا يهدف إلى معرفة الحقيقة الثابتة.

ومن هنا فبمقتضى العقل السليم والفطرة النقية يجب أنْ تحقق المسائل الكلية قبل الولوج في التفاصيل التي بُنيت عليها، فكثير من النقاشات تصب حول الأمور الجزئية؛ وهي لا تنفك عن الأصل الذي بُنيت عليه، فلا يصح نقض الأمور الجزئية المبنية على القاعدة الكلية بعد الإقرار بها، فمثلاً: لا يحق لمسلم أن ينقض طريقة الوضوء أو طريقة الصلاة أو الصيام بعد تصديقه بمحمد ﷺ لكونه هو الذي أخبر بها فتكذيبها يعني تكذيبه والحال أنه مصدّق بنبوته بحسب الفرض.

وكذلك لا فائدة مرجوه من نقاشنا كمسلمين مع المسيحيين في الأمور الجزئية قبل إثبات بطلان دينهم وعقيدتهم بعد مجيء الإسلام، كما لا يحق لهم النقض على طريقة عباداتنا التي استقيناها من ديننا الإسلامي وعقيدتنا الحقة قبل إثباتهم لبطلان ديننا، فالنقاش في أصل الدين الإسلامي وأصل رسالة محمد ونبوته ﷺ.

والسبب في ذلك أن النقاش في الجزئيات لا محصل منه بعد الإقرار بالأصل الذي بُنيت عليه.

وهذا ما نجده في كلمات قائم آل محمد السيد أحمد الحسن عليه السلام حيث يقول: (إن كنتم تريدون الظهور على أهل الخلاف وإتمام الحجة عليهم احتجوا عليهم بقانون معرفة الحجة) [1].

وجاء هذا في معرض جوابه عن مسألة ما يهرج به الكثير من زواج عمر بن الخطاب من أم كلثوم ، فبعد أن أبطل هذه الفرية علق بما تقدّم.

١- الجواب المنير: ج٣ ص١٨ جواب رقم ٣ من السؤال: ٢١٩.

إذن، النقاش لابد أن ينصب على الأمور الكلية التي بُنيت عليها الكثير من المسائل الفرعية، ومن هنا جميع الشبهات التي ذكرها ابن تيمية وغيره لا أصل لها في الحقيقة لكونها نتاج الاعتقاد الذي بُنيت عليه، فهي إنما جاءت من طبيعة الاعتقاد الحق بعترة النبي عليهم السلام، فلو آمن ابن تيمية وغيره بعقيدتنا لما جاءته هذه الشبهات؛ لكونهم عليهم السلام قد بينوا ولادة الإمام محمد بن الحسن عليه السلام ونصّوا عليه وبينوا غيبته وعلامات ظهوره وتصدوا لرفع جميع الشبهات عن هذه العقيدة الشريفة.

إذن، فشبهات ابن تيمية وأشباهه في الحقيقة على أصل العقيدة الحقة، فلكونهم لا يعتقدون بالعترة الهادية عليهم السلام راحوا يتشبثون بشبهات واضحة البطلان، فعلى المنصف أنْ يحقق في أصل العقيدة التي نعتقدها ومن مصادره ولا يتخبط في الشبهات المنقوضة بأوضح بيان.

* * *

من المعروف عند كل مسلم عدم رقي الأساليب مهما كانت إلى الإسلوب القرآني في البيان، ومن هنا لو تدبرنا القرآن الكريم لوجدنا فيه منهجاً واضحاً يخطه لمن أراد العلم وإيصال فكره إلى الآخر من خلال التدليل على الحقائق بإدلة علمية رصينة، فتارة نجد المثال الحسي الذي يقرّب الفكرة، وأخرى نجد القصة التي تهدف إلى بيان الحقائق بأسلوب جميل يتذوقه القارئ، وثالثة نجد النصيحة البليغة، وهكذا ...

ولنأخذ من قصة موسى عليه السلام وحواره مع فرعون مثالاً على ذلك، قال سبحانه لنبيه موسى عليه السلام: ﴿**اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۞ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ۞ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى ۞ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ۞ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ۞ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۞ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى ۞ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي**

أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ۞ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ۞ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[١].

فعلى الرغم من طغيان فرعون نجده سبحانه يأمر نبيه موسى وأخاه هارون أن يقولا له قولاً ليناً، وجاء في الروايات تفسير القول اللين بأن يكنياه ولا يخاطباه باسمه.

عن محمد ابن أبي عمير، قال: (قلت لموسى بن جعفر عليه السلام: أخبرني عن قول الله عز وجل لموسى وهارون: **﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾**؟

فقال: **أمّا قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً﴾، أي: كنياه وقولا له يا أبا مصعب. وكان اسم فرعون أبا مصعب الوليد بن مصعب، وأمّا قوله: ﴿لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾، فإنما قال ليكون أحرص لموسى على الذهاب، وقد علم الله عز وجل أنّ فرعون لا يتذكر ولا يخشى إلا عند رؤية البأس، ألا تسمع الله عز وجل يقول: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾**[٢]**، فلم يقبل الله إيمانه، وقال: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾**[٣]) [٤].

فعلى الرغم من طغيان فرعون نجده سبحانه يؤكد على التلطف في خطابه، ولذا يقول سبحانه لنبيه الكريم: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ...﴾**[٥].

وبعد هذه الإطلالة على أدب الحوار في القرآن الكريم، فما يهمنا من نقل هذه الآيات المباركة مشاهدة ماذا قدّم موسى وأخوه هارون (عليهما السلام) من دلائل وماذا قال فرعون، فهل نقض فرعون دليلاً من أدلتهما ؟

من المعلوم أنّ من يقدم دليلاً على شيء ويثبته بالدليل فمن يريد أن يثبت نقيض ما أثبته الأول فيجب عليه أن يقدّم دليلاً، ومن هنا تحصل المعارضة بين مدلولي الدليلين، وهذا ما

١- طه: ٤٢ ـ ٥٢.
٢- يونس: ٩٠.
٣- يونس: ٩١.
٤- علل الشرائع: ج١ ص٦٧.
٥- آل عمران: ١٥٩.

يسمّى بالتعارض، فالتعارض يكون بين مدلولي دليلين لا بين دليل وإشكال؛ لكون الإشكال لا ينقض الدليل، بل هو إقرار بالدليل وتسليم به، وبعد التسليم يريد يجليه ويستوضح الأمر أكثر.

وما أريد بيانه هو ما قاله يماني آل محمد السيد أحمد الحسن عليه السلام، فقد جاء في كتاب مع العبد الصالح، أنه عليه السلام قال: (في مناظراتهم دائماً ركّزوا على المثال في نقض الإشكال على الدليل المطروح، يعني مثلاً: تقول لهم هذا هو الدليل من كتبكم أن عمر اقتحم بيت الزهراء وأحرق باب دارها، يقولون لك: كيف وأين شجاعة علي بن أبي طالب، وكيف رضي أن تضرب الزهراء ويكسر ضلعها ؟

أنت هنا ركز، هم ماذا فعلوا ؟

أولاً: لم يردوا الدليل بدليل ينقضه، إذن ثبت الدليل وقد أقرّوا الأمر ابتداءً؛ لأنهم ذهبوا إلى الإشكال عليه لا نقضه بدليل مخالف، يعني هم لو كان عندهم دليل نقض لطرحوه، وبما أنهم لم يطرحوا دليلاً للنقض فقد لزمهم الدليل وأقروا به، وهم في مرحلة رفع الشبهات عن الدليل بطرح الإشكالات عليه.

ركّز هنا، فأنت بهذا تحرجهم أيما إحراج؛ لأنّ معنى طرحهم الإشكال هو إقرارهم بالدليل، ومعنى طرحهم الإشكال هو أنهم فاقدون لدليل النقض، ومعنى طرحهم الإشكال أنهم في مرحلة تجلية الدليل ورفع الشبهات عنه.

ثانياً: ما أخبرتك به وهو نقض الإشكال بالمثال؛ لأن معظم الناس يفهمون المثال والمثال أقرب شيء لهم؛ لأن المقارنة تسهل عليهم، فهذا الإشكال ينقض بهذا المثال: وهو سمية أم عمار، فإذا كان الإشكال يصح على علي عليه السلام لصح على رسول الله صلى الله عليه وآله، وسمية قتلت كما هو معلوم وهي من أهل الجنة كما هو معلوم أيضاً، وقد شهد لها رسول الله صلى الله عليه وآله [1]، وبالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وآله لا فرق عنده بين زوجته وابنته وأي مسلمة أخرى؛ لأنه أبو الأمة والكل عنده وبين يديه سواسية.

١- حيث قال (صلى الله عليه وآله): (صبراً آل ياسر فإنّ موعدكم الجنة) بحار الأنوار: ج١٨ ص٢١٠، كنز العمال: ج١١ ص٧٢٨.

أمّا رد الإشكال عن رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام فهو أنهم عباد يعملون بأمر الله وليسوا كعامة الناس ينتصرون لأنفسهم.

مثال آخر: آسية زوجة فرعون، أليست من خيرة نساء الجنة [١]، لماذا ترك موسى عليه السلام فرعون وجنده يعذبونها ... الخ.

المهم إنّ الصورة عموماً وصلت، دائماً من تلزمه الحجة يحاول أن يفرّ للإشكال على الدليل) [٢].

ولهذا لما كانت حجة موسى وأخيه هارون (عليهما السلام) قوية التجأ فرعون إلى الإشكال قائلاً: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾.

والآن ماذا يقول المنصفون في قول فرعون، هل قوله هذا يسقط حجة موسى وهارون (عليهما السلام) ؟

إذ كل منصف سيقول ما ربط ما قدمه موسى وهارون (عليهما السلام) من دلائل وبينات بالقرون الماضية ؟! فهل يوجد عند فرعون غير الإشكال لكي يشوش الصورة على دليل موسى عليه السلام ؟!

ولذا أجابه موسى عليه السلام قائلاً: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾، فهنا موسى عليه السلام يريد أن يقول لفرعون أنّ ما ذكرته لا ربط له بالدليل الذي قدمته لك، وإشكالك هذا لا ينقض الدليل الذي قدمته لك.

إذن الإشكالات والشبهات لا تبطل الدليل.

وبعد هذا فلن يجد القارئ في طيات هذا البحث سوى منطق إثارة الإشكال والشبهة من قبل ابن تيمية وأشباهه، وهو المنطق الفرعوني الذي ناوئ رسالة موسى عليه السلام، فلما أفلس من الدليل راح يسطر في كتابه (منهاج السنة) كماً كبيراً من الإشكالات، وما يتعلق ببحثنا شبهاته

١- عن النبي (صلى الله عليه وآله): (سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت محمد، وخديجة بنت خويلد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون) كشف الغمة: ج٢ ص٧٧.
٢- مع العبد الصالح: ص٩٥.

حول الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، فنجده يحاول جاهداً بشتى السبل نكران ولادته، وفي الوقت نفسه نراه ينسب كذباً وزوراً للشيعة أنهم يعتقدون بكونه غاب في السرداب !! وغير ذلك مما ستجده في هذا البحث، وكل ما قاله لا أصل له، لا في روايات الشيعة ولا حتى في أقوال علمائهم، ثم ذهب وردّ الاستدلال على طول حياة الإمام محمد بن الحسن عليه السلام بالخضر عليه السلام لكونه ميتاً عند بعض المحققين كما يقول وسيأتيك كلامه بالتفصيل، ثم بعد ذلك يقول بأنّ كثيراً من الجن والإنس الكذابين تدعي أنها الخضر، وهكذا يقفز من إشكال لآخر لكي يشوش أفكار الناس بالشبهات ليس إلا.

فهو ومن تبعه في الحقيقة ليسوا إلاّ مجادلين يتشبثون بأتفه الأمور لأجل إثبات العقيدة المسبقة التي عشعشت في أذهانهم لكونهم ولدوا عليها.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[1].

فهذا هو المنطق الذي يحكم الكثير في زماننا، فهو المنطق الجاهلي بعينه وإن حاول البعض إنكاره قولاً لا فعلاً.

وبعد هذا فما أريد التأكيد عليه أن ينظر القارئ بعين الإنصاف ويجعل إنصافه قاضياً وحاكماً على ما سطّره ابن تيمية، فهل قدّم دليلاً على ما يذهب إليه ولو كان ضعيفاً كضعف عقله وإدراكه.

ثم لينظر إلى الجرأة على تكذيب الآخرين من جهة والكذب عليهم من جهة ثانية، فمثلاً: في شبهة كون الإمام محمد بن الحسن عليه السلام في السرداب أين الدليل عليها من مصادر الشيعة، أليس المنطق العلمي يُملي على الإنسان أن يحج خصمه من كتبه التي يعتقد بها ؟!

فأين حجته أو حجة غيره ممن يعتقد بكون الإمام الثاني عشر عليه السلام مختفياً في السرداب، أين دليلهم من مصادر الشيعة ؟! لن يوجد دليل.

١- البقرة: ١٧٠.

وهذه المصادر بين يدي الجميع يمكنهم مراجعتها واستقراءها، فما سطرّه ليس إلا مجموعة من الأكاذيب والشبهات ناتجة من فكره المشوّش المعادي للنبي ولآل بيت النبي ﷺ.

- **طريق إثبات المسائل التاريخية:**

مما لا إشكال فيه أنَّ هناك طريقاً لإثبات المسائل التاريخية، ويمكن أن نقدّم طريقين لإثباتها:

الطريق الأول: هو التواتر؛ وهو أن يخبر مجموعة من الناس بشيء معين، ولا يكون إخبارهم من باب التواطؤ على الكذب واجتماعهم عليه، ولذا عُرّف الخبر المتواتر بأنه؛ إخبار جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب.

والخبر المتواتر يفيد العلم وتسكن وتطمئن إليه النفس فتأخذ بمفاده وتقطع به.

فلو أخبر مجموعة من الناس مختلفين في المكان بشيء معين فمن الطبيعي لا نحتمل كذب جميع هؤلاء، بل نطمئن بصدور ما أخبروا به.

وأود الإلفات لشيء مهم في موضوع التواتر، وهو عدم اشتراط وثاقة وعدالة المخبرين في الخبر المتواتر، نعم الوثاقة تشترط في غير الخبر المتواتر، فلو أخبرنا خمسون شخصاً بشيء يمتنع تواطؤهم على الكذب فمن الطبيعي سيكون عندنا قطع وعلم بغض النظر عن وثاقة المخبرين وعدالتهم، إذن في التواتر لا تشترط عدالة الراوي ولا وثاقته.

والسر في ذلك هو: إنّ الخبر المتواتر إنما يفيد العلم بسبب كثرة المخبرين، فنفس كثرة المخبرين تفيد العلم، وبعد حصول العلم لا معنى لاشتراط الوثاقة والعدالة.

وهذا ما صرّح به الكثير.

يقول الألباني: (ولا يشترط في الحديث المتواتر سلامة طرقه من الضعف، لأن ثبوته إنما هو بمجموعه ، لا بالفرد منها ، كما هو مشروح في المصطلح) [1].

١- إرواء الغليل: ج٦ ص٩٥.

ويقول ابن تيمية: (كذلك العلم الحاصل عقيب الخبر، تارة يكون لكثرة المخبرين، وإذا كثروا فقد يفيد خبرهم العلم، وإن كانوا كفاراً. وتارة يكون لدينهم وضبطهم) [١].

ويقول الحاكم الحسكاني: (أقول: الحديث متواتر، وفي مثله لا يضر ضعف الجميع فضلا عن ضعف البعض ...) [٢].

وقال زكريا الأنصاري: (وكالثقة عدد التواتر ولو من فسقة أو كفار قال ابن الرفعة وكل ذلك في الظاهر أما في الباطن فالعبرة بما يقع في نفسه من صدق وضده ولو من فاسق كما قاله الماوردي) [٣].

وقال الزركشي في البحر: قال سليم الرازي في التقريب: (لا يشترط في وقوع العلم بالتواتر صفات المحدثين بل يقع ذلك بأخبار المسلمين والكفار والعدول والفساق والأحرار والعبيد والكبار والصغار إذا اجتمعت الشروط اه وعبارة سم في شرح الورقات الصغير، وهو أي التواتر أن يرويه جماعة يزيدون على الأربعة كما اعتمده في جمع الجوامع ولو فساقاً وكفاراً وأرقاء وإناثاً وشملت العبارة للصبيان المميزين) [٤].

وبعد هذا كله فالوصف لكل ما سيأتي من روايات تثبت ولادة الإمام المهدي عليه السلام بالكذب إنما يراد به الفرار من الحقيقة الناصعة، وعليه فالقول بعدم وجود الدليل على ولادة الإمام المهدي محمد بن الحسن عليه السلام مكابرة والتواء على صريح الأدلة التي ثبتت بالوجدان، ولا ينكر ذلك إلاّ متصيد يريد أن ينقض الثوابت بالأوهام وعدم التعقل، كفرعون إذ يقول: ﴿...فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾[٥].

ومن كان هذا ديدنه وملكاته النفسية فلا ينفع معه الدليل العلمي؛ كما لم تنفع مع أقوام الأنبياء عليهم السلام، فهذا هو منطق من قال عنهم القرآن.

١- مجموع الفتاوي: ج١٨ ص٥٠.
٢- شواهد التنزيل: ج٢ ص٤٠.
٣- فتح الوهاب: ج١ ص٤١٠.
٤- حواشي الشرواني: ج٢ ص٣٥ .
٥- طه: ٥١.

﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً ۞ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً ۞ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً ۞ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً﴾[1].

فالروايات التي دلت على ولادة الإمام المهدي عليه السلام تفيد التواتر، وهو حجة بالوجدان ولا يشك في ذلك من له مسكة عقل، والتواتر لا يشترط فيه عدالة ووثاقة الراوي وعقيدته وإيمانه أو كفره كما يقرّ بذلك جميع أهل الفن.

وهذه جدولة بالروايات التي تدل على ولادته بتعابير مختلفة:

١ الروايات التي نصت على ولادته عليه السلام وهي كثيرة يجدها القارئ في كتاب كمال الدين والكافي والغيبة للطوسي والغيبة للنعماني والبحار ومنتخب الاثر وغيرها من المصنفات.

٢ الروايات التي دلت ذكرت كيفية ولادته وذكرت أمه الطاهرة وطريقة مجيئها إلى الإمام العسكري عليه السلام.

٣ الروايات التي دلت على خفاء ولادته عليه السلام.

٤ الروايات التي دلت على غيبته عليه السلام، والغيبة فرع الولادة فغير المولود لا يقال عنه غائب.

٥ الروايات التي ذكرت صلاته على أبيه وقصة وفد القميين [2].

١- الإسراء: ٩٠ – ٩٣.

٢- روى الشيخ الصدوق في كمال الدين: ص٤٧٦: حدثنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن عبد الله بن محمد بن مهران الآبي العروضي رضي الله عنه بمرو، قال: حدثنا (أبو) الحسين (بن) زيد بن عبد الله البغدادي، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن سنان الموصلي، قال: حدثني أبي، قال: لما قبض سيدنا أبو محمد الحسن بن علي العسكري صلوات الله عليهما وفد من قم والجبال وفود بالأموال التي كانت تحمل على الرسم والعادة، ولم يكن عندهم خبر وفاة الحسن عليه السلام، فلما أن وصلوا إلى سر من رأى سألوا عن سيدنا الحسن بن علي عليهما السلام، فقيل لهم: إنه قد فقد، فقالوا: ومن وارثه ؟ قالوا: أخوه جعفر بن علي فسألوا عنه فقيل لهم إنه قد خرج متنزها وركب زورقاً في الدجلة يشرب ومعه المغنون، قال: فتشاور القوم فقالوا: هذه ليست من صفة الإمام، وقال بعضهم لبعض: امضوا بنا حتى نرد هذه الأموال على أصحابها. فقال أبو العباس محمد بن جعفر الحميري القمي: قفوا بنا حتى ينصرف هذا الرجل ونختبر أمره بالصحة. قال: فلما انصرف دخلوا عليه فسلموا عليه وقالوا: يا سيدنا نحن من أهل قم ومعنا جماعة من الشيعة وغيرها وكنا نحمل إلى سيدنا أبي محمد الحسن بن علي الأموال فقال: وأين هي ؟ قالوا: معنا، قال: احملوها إلي، قالوا: لا، إنّ لهذه الأموال خبراً طريفاً، فقال: وما هو ؟ قالوا: إن هذه الأموال تجمع ويكون فيها من عامة الشيعة الدينار والديناران، ثم يجعلونها

٦ الروايات التي تذكر نوابه في زمن الغيبة الصغرى، وما صدر منه من توقيعات.

٧ الروايات التي تذكر من شاهده في الغيبة الصغرى.

٨ القصص الكثيرة جداً التي يشهد أصحابها بمشاهدتهم له في الغيبة الكبرى، والتي حصلت في أزمان مختلفة وأماكن مختلفة مما يعني امتناع تواطؤ هؤلاء على الكذب.

٩ التراث الذي نقل عنه سواء في الغيبة الصغرى أم الغيبة الكبرى.

فليس لمنصف أن يصف جميع ما تقدّم بضعف السند أو مجهولية الرواة أو في الروايات بعض المجاهيل وغيرها من العلل التي يتعلل بها الكثير، فلو سلمنا جدلاً بهذه الطريقة فهي إنما تأتي في الروايات غير المتواترة لا في الروايات المتواترة، وولادة الإمام المهدي عليه السلام ثابتة بالروايات المتواترة.

في كيس ويختمون عليه وكنا إذا وردنا بالمال على سيدنا أبي محمد عليه السلام يقول: جملة المال كذا وكذا ديناراً، من عند فلان كذا ومن عند فلان كذا حتى يأتي على أسماء الناس كلهم ويقول ما على الخواتيم من نقش، فقال جعفر: كذبتم تقولون على أخي ما لا يفعله، هذا علم الغيب ولا يعلمه إلا الله. قال: فلما سمع القوم كلام جعفر جعل بعضهم ينظر إلى بعض فقال لهم: احملوا هذا المال إلي، قالوا: إنا قوم مستأجرون وكلاء لأرباب المال ولا نسلم المال إلا بالعلامات التي كنا نعرفها من سيدنا الحسن بن علي عليهما السلام فإن كنت الإمام فبرهن لنا وإلا رددناها إلى أصحابها، يرون فيها رأيهم. قال: فدخل جعفر على الخليفة - وكان بسر من رأى - فاستعدى عليهم، فلما احضروا قال الخليفة: احملوا هذا المال إلى جعفر، قالوا: أصلح الله أمير المؤمنين إنا قوم مستأجرون وكلاء لأرباب هذه الأموال وهي وداعة لجماعة وأمرونا بأن لا نسلمها إلاّ بعلامة ودلالة، وقد جرت بهذه العادة مع أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام. فقال الخليفة: فما كانت العلامة التي كانت مع أبي محمد. قال القوم: كان يصف لنا الدنانير وأصحابها والأموال وكم هي ؟ فإذا فعل ذلك سلمناها إليه، وقد وفدنا إليه مراراً فكانت هذه علامتنا معه ودلالتنا، وقد مات، فإن يكن هذا الرجل صاحب هذا الأمر فليقم لنا ما كان يقيمه لنا أخوه، وإلا رددناها إلى أصحابها. فقال جعفر: يا أمير المؤمنين، إنّ هؤلاء قوم كذابون يكذبون على أخي وهذا علم الغيب فقال الخليفة: القوم رسل وما على الرسول إلا البلاغ المبين. قال: فبهت جعفر ولم يرد جواباً، فقال القوم: يتطول أمير المؤمنين بإخراج أمره إلى من يبدرقنا حتى نخرج من هذه البلدة، قال: فأمر لهم بنقيب فأخرجهم منها، فلما أن خرجوا من البلد خرج إليهم غلام أحسن الناس وجهاً، كأنه خادم، فنادى يا فلان بن فلان ويا فلان ابن فلان أجيبوا مولاكم، قال: فقالوا: أنت مولانا، قال: معاذ الله، أنا عبد مولاكم فسيروا إليه، قالوا: فسرنا (إليه) معه حتى دخلنا دار مولانا الحسن بن علي عليهما السلام، فإذا ولده القائم سيدنا عليه السلام قاعد على سرير كأنه فلقة قمر، عليه ثياب خضر، فسلمنا عليه، فرد علينا السلام، ثم قال: جملة المال كذا وكذا ديناراً، حمل فلان كذا، (وحمل) فلان كذا، ولم يزل يصف حتى وصف الجميع. ثم وصف ثيابنا ورحالنا وما كان معنا من الدواب، فخررنا سجداً لله عز وجل شكراً لما عرفنا، وقبلنا الأرض بين يديه، وسألناه عما أردنا فأجاب، فحملنا إليه الأموال، وأمرنا القائم عليه السلام أن لا نحمل إلى سر من رأى بعدها شيئا من المال، فإنه ينصب لنا ببغداد رجلاً يحمل إليه الأموال ويخرج من عنده التوقيعات، قالوا: فانصرفنا من عنده ودفع إلى أبي العباس محمد بن جعفر القمي الحميري شيئا من الحنوط والكفن فقال له: أعظم الله أجرك في نفسك، قال: فما بلغ أبو العباس عقبة همدان حتى توفي رحمه الله. وكان بعد ذلك نحمل الأموال إلى بغداد إلى النواب المنصوبين بها ويخرج من عندهم التوقيعات.

إذن، فلا معنى لقولنا الرواية الأولى ضعيفة السند بسبب الإرسال، والثانية ضعيفة السند لجهالة الراوي والثالثة مضمرة، وهكذا، فإنّ هذه الطريقة على القول بها إنما تجري في الخبر غير المتواتر، أمّا في الخبر المتواتر فلا معنى لها.

الطريق الثاني: أخبار الآحاد المحفوفة بالقرائن المفيدة لليقين: فلو أخبر اثنان أو ثلاثة بشيء فهذا لا يسمّى تواتراً، إلا أنه إذا اقترن بقرائن وانظمت إليه فيرتقي ويصبح مفيداً لليقين والعلم.

ومثال ذلك: لو أخبرنا شخص بوجود أسد في الغابة الفلانية فبطبيعة الحال لا نقطع بوجود الأسد في الغابة، بل يحصل عندنا درجة من الصدق إن كان المخبر ثقة غير معروف بالكذب، لكننا قد نحتمل الاشتباه منه، فلذا ستكون نسبة تصديقه مثلاً (٣٠%)، لكن لو جاءنا خبر أخر بوجود شيء تم افتراسه في نفس الغابة التي أخبرونا بوجود الأسد فيها، فبطبيعة الحال سوف ترتفع نسبة صحة الخبر بسبب هذه القرينة، فلنفرض إنها تكون (٥٠%)، ولو فرضنا بعد ذلك أننا وجدنا أثراً لحيوان مفترس إلا أننا لا نستطيع أن نشخص هل هو أثر أسد أم شيء آخر، فأيضاً هذا الأثر يشكل قرينة تضم إلى الخبر فيرتفع احتمال الصدق إلى درجة أعلى ولنفرض (٧٠%)، وهكذا نظم قرينة لأخرى إلى أنّ يصبح الخبر محفوفاً بالقرائن التي تشهد بصدق الخبر.

وعلى هذا الأساس ليس من الحق و الصواب نأخذ رواية واحدة ونغض النظر عن بقية القرائن التي هي ناظرة إلى تلك الرواية وتبين صدقها.

ولو درسنا الروايات التي دلت على ولادة الإمام المهدي عليه السلام بهذا النوع من الدراسة بغض النظر عن كونها متواترة فأيضاً لا يستطيع أن ينكر ولادته إلا مكابر لما تقدّم من كثرة الروايات التي تؤكد وتثبت ولادته عليه السلام وبألسنة مختلفة كما تقدّم.

- **ابن تيمية في سطور:**

قال البهبودي وهو يترجم لابن تيمية: ("أبو العباس أحمد" تقي الدين ابن عبد الحليم ابن شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي (بن تيمية) الحراني، ولد يوم الاثنين عاشر وقيل ثاني عشر ربيع

الأول سنة إحدى وستين وستمائة، وتوفي ليلة الاثنين عشر ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة) [١].

فولد أحمد بن تيمية عام٦٦١هـ في مدينة (حرّان)، وواصل دراسته هناك حتى السابعة عشر من العمر، وكان في ذلك الوقت العالم عموماً وبلاد الشام بالخصوص تعاني من الغزو المغولي الذي أرعب النفوس وزرع الهلع في نفوسهم مما أدى بوالده أن يرحل من حرّان إلى دمشق.

وبقي ابن تيمية حتى سنة ٦٩٨هـ شخصية مغمورة لا يعرفها ولم يسمع عنها شيء، وفي بداية القرن الثامن بدأ ابن تيمية بنشر أفكاره المحمومة الشاذّة وعرضها بين الناس وحينما طلب منه أهل (حماة) تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحمن عَلى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾[٢]، ففسرها بالتجسيم، وأثبت أنّ للّه مكاناً في السماء، وأنّه متكئ على العرش [٣].

يقول الرّحالة ابن بطوطة: (وكان بدمشق من كبار فقهاء الحنابلة تقي الدين ابن تيمية كبير الشام يتكلّم في الفنون إلا أنّ في عقله شيئاً، وكان أهل دمشق يعظّمونه أشدّ التعظيم ويعظهم على المنبر. وتكلّم مرّة بأمر أنكره الفقهاء، ورفعوه إلى الملك الناصر، فأمر بأشخاصه إلى القاهرة ... فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على المنبر الجامع ويذكّرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: (إنّ اللّه يترل إلى سماء الدنيا كترولي هذا)، ونزل درجة من درج المنبر، فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزاهراء، وأنكر ما تكلّم به، فقامت العامّة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً حتى سقطت عمامته) [٤].

والحال أنّ القرآن يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيء﴾، ويقول: ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحد﴾ مما يرد على التجسيم وتشبيهه سبحانه بمخلوقاته، بينما ابن تيمية ينص على التجسيم.

وقد كان لتفسيره المذكور للآية المباركة ردّة فعل شديدة وضجّة كبيرة في أوساط المسلمين كما مرّ علينا في كلام ابن بطوطة، حتى طلب على أثرها العلماء من القاضي جلال الدين

١- كشاف القناع: ج١ ص٢٠.
٢- طه: ٥.
٣- الرسالة الحموية: ص٤٢٩، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى.
٤- رحلة ابن بطوطة: ص١١٢.

الحنفي، إحضاره ومحاكمته، فوجّه إليه القاضي المذكور الدعوة لكنّه امتنع عن الحضور إلى قاعة المحكمة.

وهكذا استمر ابن تيمية في عرض أفكاره الشاذّة، وعقائده المخالفة للمشهور في أوساط المسلمين مُحدثاً بذلك حالة من التشنّج والانفعال في الوسط الإسلامي، حتى حُكم عليه في عام ٧٠٥ هـ وأُبعد إلى مصر، ثمّ أُطلق سراحه عام ٧٠٧ هـ ولم يرجع إلى الشام إلا عام ٧١٢ هـ حيث بدأ في نشر أفكاره ونظرياته مجدّداً، حتّى حكم عليه مرّة أُخرى عام ٧٢١ هـ بالسجن، وبقي مسجوناً إلى أن توفّي مسجوناً عام ٧٢٨ هـ [١].

قال أبو محمد اليافعي (م ٧٦٨) في ترجمة ابن تيمية: (مات بقلعة دمشق تقي الدين أحمد بن تيمية معتقلاً ومنع قبل وفاته بخمسة أشهر عن الدواة والورقة، وسمع من جماعة، وله مسائل غريبة أنكر عليه وحبس بسببها مباينة لمذهب أهل السنة، ومن أقبحها نهيه عن زيارة النبي، وكذلك عقيدته في الجهة) [٢].

ولقد أصدر علماء الشام ومصر بياناً أوضحوا فيه الخلل في عقائد ابن تيمية وشطحاته الفكرية، ونكتفي بذكر خلاصة من بعض كلمات العلماء ليطّلع القارئ على الدور التخريبي الذي أحدثته أفكار ابن تيمية في الوسط الإسلامي.

- **العلماء الذين تصدّوا لأبن تيمية الحراني:**

الباحثون عن الحقيقة الذين يحدوهم طلب الحقّ أخذوا في نقد أفكار ابن تيمية ونظرياته بنفس علمي بعيداً عن التعصّب والميول الشخصية، ومن العلماء في الشام ومصر الذين اعتبروا آراءه مخالفة لتعاليم الدين وردوا على أفكاره ونقدوها نقداً علمياً:

١. الشيخ صفي الدين الهندي الأُرموي (٦٤٤ ٧١٥ هـ).

٢. الشيخ شهاب الدين ابن جهبل الكلابي الحلبي (المتوفّي ٧٣٣ هـ).

٣. قاضي القضاة كمال الدين الزملكاني (٦٦٧ ٧٣٣ هـ).

١- البداية والنهاية: ج٤ ص١٤.
٢- مرآة الجنان: ج٤ ص٢٤٠ وص٢٧٧، في حوادث سنة: ٧٢٨.

٤. شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (المتوفّي ٧٤٨ هـ).

٥. صدر الدين المرحّل (المتوفّي ٧٥٠ هـ).

٦. علي بن عبد الكافي السبكي (المتوفّي ٧٥٦ هـ).

٧. محمد بن شاكر الكتبي (المتوفّي ٧٦٤ هـ).

٨. أبو محمد عبد اللّه بن أسعد اليافعي (٦٩٨ ٧٦٨ هـ).

٩. أبو بكر الحصني الدمشقي (المتوفّي ٨٢٩ هـ).

١٠. شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفّي ٨٥٢ هـ).

١١. جمال الدين يوسف بن تغري الأتابكي (٨١٢ ٨٧٤ هـ).

١٢. شهاب الدين ابن حجر الهيثمي (المتوفّي ٩٧٣ هـ).

١٣. الملا علي القاري الحنفي (المتوفّي ١٠١٦ هـ).

١٤. أبو الأيس أحمد بن محمد المكناسي المعروف بأبي القاضي (٩٦٠ ١٠٢٥ هـ).

١٥. يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني (١٢٦٥ ١٣٥٠ هـ).

١٦. الشيخ محمد الكوثري المصري (المتوفّي ١٣٧١ هـ).

١٧. الشيخ سلامة القضاعي العزامي (المتوفّي ١٣٧٩ هـ).

١٨. الشيخ محمد أبو زهرة (١٣١٦ ١٣٩٦ هـ).

وقد ألّف بعض العلماء كتباً خاصة بنقد أفكاره والرد عليها كتقي الدين السُّبكي الذي ألّف في الردّ على ابن تيمية كتابين: الأوّل منهما تحت عنوان (شفاء السقام في زيارة خير الأنام)، والآخر: (الدّرة المضية في الرد على ابن تيمية).

ولأجل أن يقف القارئ على آراء معاصريه وغيرهم من علماء أهل السنّة وتقييمهم للرجل وللأفكار التي جاء بها نقتطف بعضاً من تلك الكلمات:

كلام الحافظ شمس الدين الذهبي (المتوفّي ٧٤٩ هـ):

يُعدّ الحافظ الذهبي من كبار علماء أهل السنّة في الحديث والدراية، وكان تربطه بابن تيمية رابطة مذهبية، حيث ينتمي الرجلان إلى المذهب الحنبلي، وقد كتب الذهبي رسالة مطوّلة إلى ابن تيمية ينصحه فيها ويبيّن له نقاط الخلل في منهجه الفكري والعلمي، وممّا جاء في الرسالة: (ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك؟! إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك وتذمّ العلماء وتتبع عورات الناس؟! مع علمك لنهي الرسول ﷺ).

ثمّ تعرّض الذهبي لتقييم أتباع ابن تيمية ومريديه فقال: (فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل ؟! أو عامّي كذّاب بليد الذهن ؟! أو غريب واجم قوي المكر ؟! أو ناشف صالح عديم الفهم ؟! فإن لم تصدقني ففتّشهم وزنهم بالعدل).

ثمّ انتقل الذهبي لبيان أُسلوبه ومنهجه الأخلاقي فقال: (إلى كم تصادق نفسك وتعادي الأخيار ؟! إلى كم تصادقها وتزدري الأبرار ؟! إلى كم تعظمها وتصغر العباد ؟! إلى متى تخاللها وتمقت الزهّاد ؟ إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح واللّه بها أحاديث الصحيحين ؟! يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك) !!

ثمّ قال: (أمّا آن لك أن ترعوي ؟! أما حان لك أن تتوب وتنيب ؟! أما أنت في عشر السبعين وقد قرب الرحيل ؟! بلى واللّه ما أذكر إنّك تذكر الموت، بل تزدري بمن يذكر الموت، فما أظنّك تقبل قولي ولا تصغي إلى وعظي).

وبعد إيراد وعظه أشار الذهبي إلى نكتة مهمة، حيث قال: (فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحب الواد، فكيف حالك عند أعدائك ؟! وأعداؤك واللّه فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء، كما أنّ أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة، وبطلة وعود وبقر، قد رضيت منك بأن تسبّني علانية، وتنتفع بمقالتي سرّاً، فرحم اللّه امرءاً أهدى إليَّ عيوبي) [1].

الحافظ علي بن عبد الكافي السبكي (المتوفّي ٧٥٦ هـ):

١ـ السيف الصقيل: ص٢١٧.

وهو أحد من ردّ على ابن تيمية وألّف كتاباً أسماه (شفاء السقام في زيارة خير الأنام عليه الصلاة والسلام) وربّما سمّي (شن الغارة على من أنكر السفر للزيارة) [١]، يقول: (... قام حين خلط على ابن تيمية الأمر، وسوّل له قرينه الخوض في ضحضاح ذلك الجمر، حين سدّ باب الوسيلة، وأنكر شدّ الرحال لمجرد الزيارة، وما برح يدلج ويسير حتى نصر صاحب ذلك الحمى الذي لا ينتهك، وقد كادت تذود عنه قسراً صدور الركائب. وتجهر قهراً أعنّة القلوب بتلك الشبهة التي كادت شرارتها تعلق بحداد الأوهام ... كيف يزار المسجد ويخفى صاحبه أو يخفيه الإبهام ؟! ولولاه عليه السلام لما عرف تفضيل ذلك المسجد، ولولاه لما قدّس الوالي ولا أُسّس على التقوى مسجد في ذلك النادي، شكر اللّه له، قام في لزوم ما انعقد عليه الإجماع) [٢].

وقال أيضاً في خطبة كتابه (الدرة المضيئة في الرد على ابن تيمية) ما هذا لفظه: (أمّا بعد فإنّه لما أحدث ابن تيمية ما أحدث في أُصول العقائد، ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاقد، بعد أن كان مستتراً بتبعية الكتاب، والسنّة، مظهراً أنّه داع إلى الحقّ، هاد إلى الجنّة، فخرج عن الابتداع، وشذّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، وقال بما يقتضي الجسمية والتركيب في الذات المقدّسة، وإنّ الافتقار إلى الجزء ليس بمحال، وقال بحلول الحوادث بذات اللّه تعالى، وإنّ القرآن محدث تكلّم اللّه به بعد أن لم يكن، وإنّه يتكلّم ويسكت، ويحدث في ذاته الإرادات بحسب المخلوقات، وتعدّى في ذلك إلى استلزام قدم العالم، والتزم بالقول بأنّه لا أوّل للمخلوقات فقال بحوادث لا أوّل لها، فأثبت الصفة القديمة حادثة، والمخلوق الحادث قديماً، و لم يجمع أحد هذين القولين في ملّة من الملل، ولا نحلة من النحل، فلم يدخل في فرقة من الفرق الثلاثة والسبعين التي افترقت عليها الأُمّة، ولا وقفت به مع أُمّة من الأُمم همة. وكلّ ذلك وإن كان كفراً شنيعاً لكنّه نقل جملته بالنسبة إلى ما أحدث في الفروع) [٣].

محمد بن شاكر الكتبي (المتوفّي ٧٦٤ هـ):

١- معجم المطبوعات العربية: ج١ ص١٠٠٤.
٢- طبقات الشافعية: ج١٠ ص١٤٩.
٣- التوسل بالنبي لأبن مرزوق: ص٢١٨.

قال في ترجمة ابن تيمية: (إنّه ألّف رسالة في فضل معاوية وفي أنّ ابنه يزيد لا يسب) [١]. وهذا يعبر عن الترعة الأموية التي عنده وطبع عليها، وإلا فيزيد كفره أشهر من نار على علم، فهو معروف بملاعبته القرود والفهود وإدمانه الخمر، وقد أخذ الملك بالقهر والغلبة.

والتاريخ يصرّح ما فعله يزيد من قتله سبط النبي ﷺ وما فعله بواقعة الحرّة مما يتبرأ منه كل مسلم، وقد أعلن كفره بلا خوف أو حياء قائلاً:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

شهاب الدين ابن حجر الهيتمي (المتوفّي ٩٧٣ هـ):

قال ابن حجر المكي في الفتاوى الحديثية، ما نصه: (ابن تيمية عبد خذله الله وأضله وأعماه وأصمه وأذله، وبذلك صرح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله، وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وبلاغه رتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي، وولده التاج) [٢].

محمد بخيت المطيعي شيخ الإسلام:

يقول: (ولما تظاهر قوم في هذا العصر بتقليد ابن تيمية في عقائده الكاسدة وتعضيد أقواله الفاسدة ... وجدنا كتاب الإمام الجليل والمجتهد الكبير تقي الدين أبي الحسن السبكي آتياً على ما قاله ابن تيمية، مقوضاً لبنيانه، مزعزعاً لأركانه، ماحياً لآثاره، ماحقاً لأباطيله، مظهراً لفساده، مبيناً لعناده) [٣].

فهذا نزر يسير من تصريحاتهم وآرائهم في ابن تيمية الحراني، وغيرهم كثير أعرضنا عن ذكره خشية الإطالة ففي ما تقدم كفاية لمن أنصف وأتقى.

ويمكن تلخيص ما قاله علماء السنة في تقييمهم لأبن تيمية بكونه:

١ مجسم.

١- فوات الوفيات: ج١ ص٧٧.
٢- شفاء السقام: ص ٣٨.
٣- شفاء السقام: ص ٣٨.

٢ زنديق.

٣ منافق.

٤ طمعه بالإمامة الكبرى.

وهذا ما نجده في كلام الحافظ ابن حجر، فيقول: (فمنهم من نسبه إلى التجسيم لما ذكر في العقيدة الحموية والواسطية وغيرهما من ذلك كقوله أن اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقية لله وأنه مستوٍ على العرش بذاته فقيل له يلزم من ذلك التحيز والانقسام فقال أنا لا أسلم أن التحيز والانقسام من خواص الأجسام فالذم بأنه يقول بتحيز في ذات الله.

ومنهم من ينسبه إلى الزندقة لقوله أن النبي صلّى الله عليه وسلّم لا يستغاث به وأن في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم النبي صلّى الله عليه وسلّم، وكان أشد الناس عليه في ذلك النور البكري فإنه لما له عقد المجلس بسبب ذلك قال بعض الحاضرين يعذر فقال البكري لا معنى لهذا القول فإنه إن كان تنقيصاً يقتل وإن لم يكن تنقيصاً لا يعذر.

ومنهم من ينسبه إلى النفاق لقوله في علي ما تقدم، ولقوله أنه كان مخذولاً حيث ما توجه وأنه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها وإنما قاتل للرياسة لا للديانة، ولقوله أنه كان يحب الرياسة وأن عثمان كان يحب المال، ولقوله أبو بكر أسلم شيخاً يدري ما يقول وعلي أسلم صبياً والصبي لا يصح إسلامه على قول، وبكلامه في قصة خطبة بنت أبي جهل ومات ما نسيها من الثناء على ... وقصة أبي العاص ابن الربيع وما يؤخذ من مفهومها، فإنه شنع في ذلك فألزموه بالنفاق لقوله صلّى الله عليه وسلّم: (ولا يبغضك إلا منافق).

ونسبه قوم إلى أنه يسعى في الإمامة الكبرى فإنه كان يلهج بذكر ابن تومرت ويطريه فكان ذلك مؤكداً لطول سجنه وله وقائع شهيرة وكان إذا حوقق وألزم يقول لم أر هذا إنما أردت كذا فيذكر احتمالاً بعيداً) [1].

* * *

١- الدرر الكامنة: ج١ ص١٥٥ ط، دار الجيل، بيروت.

واختفى مذهب ابن تيمية وأفكاره ونظرياته عن الأنظار، إلا ما كان منها في كتب تلميذه ابن قيم الجوزية (٦٩١ ٧٥١ هـ)، بل حتى تلميذه ابن قيّم الجوزية نفسه وقف متحدّياً أُستاذه في كتاب (الروح)، إلى أنّ جاء محمد بن عبد الوهاب فأثار تلك الآراء الميتة من جديد، وتبعه عليها من وصفهم الذهبي بقوله: (فهل معظم أتباعك إلاّ قعيد مربوط خفيف العقل ؟! أو عامّي كذّاب بليد الذهن ؟! أو غريب واجم قوي المكر ؟! أو ناشف صالح عديم الفهم ؟! فإن لم تصدقني ففتّشهم وزنهم بالعدل).

شبهات ابن تيمية:

إلى القارئ الكريم نص ما قاله بن تيمية الحرّاني في كتابه منهاج السنة:

(فصل: قال الرافضي وولده مولانا المهدي محمد عليه السلام، روى ابن الجوزي بإسناده إلى ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي كنيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً فذلك هو المهدي".

فيقال: قد ذكر محمد بن جرير الطبري وعبد الباقي بن قانع وغيرهما من أهل العلم بالأنساب والتواريخ أنّ الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب. والإمامية الذين يزعمون أنه كان له ولد يدعون أنه دخل السرداب بسامراء وهو صغير منهم من قال عمرة سنتان، ومنهم من قال ثلاث، ومنهم من قال خمس سنين، وهذا لو كان موجوداً معلوماً لكان الواجب في حكم الله الثابت بنص القرآن والسنة والإجماع أن يكون محضوناً عند من يحضنه في بدنه كأمه وأم أمه ونحوهما من أهل الحضانة، وأن يكون ماله عند من يحفظه إمّا وصي أبيه إن كان له وصي، وإمّا غير الوصي إمّا قريب، وإمّا نائب لدى السلطان فإنه يتيم لموت أبيه والله تعالى يقول: ﴿**وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُوا**﴾، فهذا لا يجوز تسليم ماله إليه حتى يبلغ النكاح ويؤنس منه الرشد كما ذكر الله تعالى ذلك في كتابه، فكيف يكون من يستحق الحجر عليه في بدنه وماله إماماً لجميع المسلمين معصوماً لا يكون أحد مؤمناً إلا بالإيمان به.

ثم إنّ هذا باتفاق منهم سواء قدر وجوده أو عدمه لا ينتفعون به لا في دين ولا في دنيا ولا علم أحداً شيئاً ولا يعرف له صفة من صفات الخير ولا الشر فلم يحصل به شيء من مقاصد الإمامة ولا مصالحها لا الخاصة ولا العامة بل إنّ قدر وجوده فهو ضرر على أهل الأرض بلا نفع أصلا فإن المؤمنين به لم ينتفعوا به ولا حصل لهم به لطف ولا مصلحة والمكذبون به يعذبون عندهم على تكذبيهم به فهو شر محض ولا خير فيه وخلق مثل هذا ليس من فعل الحكيم العادل.

وإذا قالوا: إنّ الناس بسبب ظلمهم احتجب عنهم.

قيل:

أولاً: كان الظلم موجوداً في زمن آبائه و لم يحتجبوا.

وقيل **ثانياً**: فالمؤمنون به طبقوا الأرض، فهلا اجتمع بهم في بعض الأوقات أو أرسل إليهم رسولاً يعلمهم شيئاً من العلم والدين.

وقيل **ثالثاً**: قد كان يمكنه أن يأوى إلى كثير من المواضع التي فيها شيعته، كجبال الشام التي كان فيها الرافضة عاصية وغير ذلك من المواضع العاصية.

وقيل **رابعاً**: فإذا هو لا يمكنه أن يذكر شيئاً من العلم والدين لأحد لأجل هذا الخوف لم يكن في وجوده لطف ولا مصلحة فكان هذا مناقضاً لما أثبتوه بخلاف من أرسل من الأنبياء وكذب فإنه بلغ الرسالة وحصل لمن آمن من اللطف والمصلحة ما هو من نعم الله عليه وهذا المنتظر لم يحصل به لطائفته إلا الانتظار لمن لا يأتي ودوام الحسرة والألم ومعاداة العالم والدعاء الذي لا يستجيبه الله؛ لأنهم لم يحصل شيء من هذا.

ثم إن عمر واحد من المسلمين هذه المرة أمر يعرف كذبه بالعادة المطردة في أمة محمد فلا يعرف أحد ولد في دين الإسلام وعاش مائة وعشرين سنة فضلاً عن هذا العمر، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في آخر عمره أرأيتكم ليلتكم هذه فإنه على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد، فمن كان في ذلك الوقت له سنة ونحوها لم يعش أكثر من مائة سنة قطعاً، وإذا كانت الأعمار في ذلك العصر لا

تتحاوز هذا الحد فما بعده من الأعصار أولى بذلك في العادة الغالبة العامة، فإن أعمار بني آدم في الغالب كلما تأخر الزمان قصرت و لم تطل، فإن نوحاً عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وآدم عليه السلام عاش ألف سنة كما ثبت ذلك في حديث صحيح رواه الترمذي وصححه، فكان العمر في ذلك الزمان طويلاً ثم أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح واحتجاجهم بحياة الخضر احتجاج باطل على باطل فمن الذي يسلم لهم بقاء الخضر والذي عليه سائر العلماء المحققون أنه مات وبتقدير بقائه فليس هو من هذه الأمة، ولهذا يوجد كثير من الكذابين من الجن والأنس ممن يدعى أنه الخضر ويظن من رآه أنه الخضر، وفي ذلك من الحكايات الصحيحة التي نعرفها ما يطول وصفها هنا، وكذلك المنتظر محمد بن الحسن فإن عدداً كثيراً من الناس يدعى كل واحد منهم أنه محمد بن الحسن، منهم من يظهر ذلك لطائفة من الناس، ومنهم من يكتم ذلك ولا يظهره إلا للواحد أو الاثنين، وما من هؤلاء إلا من يظهر كذبه كما يظهر كذب من يدعى أنه الخضر) [١].

* * *

الرافضة:

قبل بيان مواضع الخلل في كلامه أود الوقوف عند كلمة الرافضة التي صدّر بها كلامه، فمن أين جاءت هذه الكلمة وكيف أُطلقت على شيعة أهل البيت عليهم السلام، وأصبحت اسماً يطلقه عليهم المخالفون، فيصفون الشيعي بـ (الرافضي)، والشيعة عموماً بـ (الروافض).

الرفض في اللغة: هو الترك. قال ابن منظور في لسان العرب: (الرفض تركك الشيء تقول: رفضني فرفضته، رفضت الشيء أرفضه رفضاً. تركته وفرقته. الجوهري: والرفض، الشيء المتفرق والجمع: أرفاض) [٢].

هذا هو المعنى اللغوي لكلمة الرافضة، وأمّا في الاصطلاح فهي تطلق على شيعة أهل البيت أو مطلق محبي أهل البيت عليهم السلام.

١- منهاج السنة: ج٤ ص٨٦.
٢- لسان العرب ج٧ ص١٥٦ مادة رفض.

وروي أنّ عبد الملك بن مروان لما سمع قصيدة الفرزدق في مدح الإمام علي بن الحسين قال له: (أو رافضي أيضاً أنت يا فرزدق ؟ فقال الفرزدق: إن كان حبّ آل محمّد رفضاً فنعم) [١].

ويقول الشافعي:

تجاوزوا يـ . ـا قوم هـ ـذا فهـ ـذا من حديث الرافضية

برأت إلى المهيمن من أناس يرون الـ ـرفض حب الفاطمية

عـ . ـلى آل الرسول صلاة ربي ولعنته لتلك الجـ . ـاهلية.

وقال أيضاً:

يا راكباً قف بالمحصب مـ ـن منى وأهتف بساكـ ـن خيفها والناهض

سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى فيضاً كـ ـملتطم الفرات الفـ ـايض

إن كان رفضاً حـ ـب آل محمد فـ ـليشهد الثقلان إني رافضي [٢]

ومما لا إشكال فيه إنما قال ذلك الشافعي لكون الرفض يعتبر عاراً، فهو يريد القول إذا كان حب آل بيت النبي ﷺ رفضاً فأنا أحبهم ولو سميت رافضياً.

ولذا نجد صاحب كتاب نزهة الخواطر عندما يترجم لمحمد رشيد الدين خان الدهلوي المتوفي سنة ١٢٤٣ فينقل قول صاحب اليانع الجني يقول: (دأبه الذب عن حمى السنة والجماعة والنكاية في الرافضة المشائيم، ..) [٣].

وما نريد معرفته هو مبدأ نشوئها والمراحل التي مرّت بها هذه الكلمة، ولماذا أطلقت على محبي أهل البيت أو شيعتهم عليهم السلام ؟

بحسب ما ينقله لنا صاحب لسان العرب حول سبب التسمية هو: (والروافض: جنود تركوا قائدهم وانصرفوا فكل طائفة منهم رافضة، والنسبة إليهم رافضي).

١- جهاد الإمام السجاد عليه السلام : ص٢١٦.
٢- نظم درر السمطين: ص١١١.
٣- نزهة الخواطر: ج٧ ص١٧٧، نقلاً عن خلاصة عبقات الأنوار: ج٤ ص١١٥.

ثم بعد ذلك صار ابن منظور بصدد تحديد ما أجمله سابقاً وتحديد المراد به، فاعتمد كلام الأصمعي وجعله مفسّراً لما أجمله سابقاً، حيث إنه كان معنى واسعاً يدخل فيه المسلم والكافر، والمسلمون بكل فرقهم، إلا أنه جعل كلام الأصمعي مفسّراً ورافعاً لذلك المعنى الواسع، فقال: (والروافض: قوم من الشيعة، سموا بذلك؛ لأنهم تركوا زيد بن علي. قال الأصمعي: كانوا بايعوه ثم قالوا له: أبرأ من الشيخين نقاتل معك، فأبى وقال: كانا وزيري جدي فلا أبرأ منهما، فرفضوه وارفضوا عنه فسموا رافضة، وقالوا الروافض ولم يقولوا الرفاض؛ لأنهم عنوا الجماعات)[١].

ويقول ابن تيمية: (فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة) [٢]. ويقصد بالثلاثة هم أبو بكر وعمر وعثمان، كما ويقصد بالرافضة الشيعة.

فنجد الأصمعي وابن تيمية يسمّون كل من رفض خلافة الخلفاء الثلاثة يسمى رافضياً، وهما قد عُرفا بانحرافهما وعدم ولائهما لعلي بن أبي طالب وشيعته، فكيف يمكن الاعتماد على شهادتهما في ذلك ؟!

والخلاصة: إنّ الرافضة يطلق على شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام أو من أحبه وأهل بيته واتبعهم عليهم السلام.

يقول البغدادي في كتاب الفَرْق بين الفِرَق عند البحث عن الزيدية: (وكان زيد بن علي قد بايعه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة وخرج بهم على والي العراق وهو يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك، فلمّا استمر القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي قالوا له: إنّا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر، بعد أن ظلما جدك علي بن أبي طالب. فقال زيد بن علي: لا أقول فيهم إلا خيراً، وما سمعت من أبي فيهم إلا خيراً. وإنّما خرجت على بني أُمية الذين قتلوا جدي الحسين، وأغاروا على المدينة يوم وقعة

١- لسان العرب: ج٧ ص١٥٧.
٢- أزمة الخلافة وآثارها المعاصرة لأسعد وحيد قاسم: ص٢٥٢.

الحرة، ثمّ رموا بيت اللّه بالمنجنيق والنار. ففارقوه عند ذلك ، حتى قال لهم رفضتموني، ومن يومئذ سمّوا رافضة) [١].

ويقول البزدوي وهو أحد المؤلفين في الفرق: (وإنّما سموا روافض؛ لأنّهم وقعوا في أبي بكر وعمر فزجرهم زيد فرفضوه وتركوه فسموا روافض) [٢].

فبحسب ما تقدّم يبين لنا الأصمعي وابن تيمية والبغدادي بأنّ مبدأ التسمية كان في زمان زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، والحال أنّ الأمر ليس كذلك، بل الكلمة مستعملة قبل ولادة زيد، فهذا معاوية ابن أبي سفيان يصف شيعة عثمان الذين رفضوا خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام بالرافضة في كتابه إلى عمرو ابن العاص وهو بفلسطين فيقول: (أمّا بعد فإنه قد كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سقط الشام مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة وقد قدم علي جرير بن عبد الله ببيعة علي فأقدم علي على بركة الله فإني قد حبست نفسي ولا غنى بنا عن رأيك، ..) [٣].

فالرافضة كلمة تطلق على كل من لم يقبل الحكومة القائمة ورَفضها وقاطَعها، ولا ربط لنشؤها بزمن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، كما لا ربط لها بالشيعة بالخصوص، نعم بما أنّ الشيعة رافضة لخلافة غير خلفاء الله سبحانه فسمّوا الرافضة، وما أريد بيانه ذكره قائم آل محمد السيد أحمد الحسن اليماني الموعود عليه السلام: (وقد تمكنت دماء الحسين عليه السلام من إبقاء وإنشاء الأمة الإسلامية الحقيقية الأمة الحسينية المحمدية التي تؤمن بحاكمية الله وتكفر بحاكمية الناس، وقد سمّوا على طول الخط بالرافضة؛ لأنهم رفضوا حاكمية الناس طوال أكثر من ألف عام، وهذه الأمة المباركة تتحمل من الطواغيت الآم حمل راية حاكمية الله) [٤].

فالشيعة سمّوا رافضة لكونهم رفضوا الحكومات المجعولة والمختارة من قبل الناس، لاعتقادهم بحاكمية الله سبحانه، التي تعني أنّ التشريع والتنفيذ بيد الله سبحانه، فالتشريع إلهي والمنفذ إلهي منصّب من قبله سبحانه.

١- الفَرْق بين الفِرَق: ص٣٥.
٢- أصول الدين: ص ٢٤٨.
٣- تاريخ مدينة دمشق: ج٥٩ ص١٣٠، تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٨٤.
٤- خطاب الخامس من محرم عام ١٤٣٢.

وليس رفضهم لخلافة الثلاثة إلا لكونهم غير منصبين من الله سبحانه، كما أنّ لفظ الرافضة لا يختص بمن رفض خلافة الثلاثة فقط، كما يريد ابن تيمية تصويره، بل يشمل كل غير المنصب من قبل الله سبحانه.

ولذا نجد الإمام الباقر عليه السلام الذي استشهد قبل شهادة زيد بسنوات يقول بأنّ الرافضة قوم رفضوا فرعون، أي: رفضوا من تقمص الحكم ورضوا بخليفة الله موسى عليه السلام.

عن أبي بصير، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: (جعلت فداك، اسم سمينا به استحلت به الولادة دماءنا وأموالنا وعذابنا، قال: **وما هو ؟** قال: الرافضة، فقال أبو جعفر عليه السلام: **إنّ سبعين رجلاً من عسكر فرعون رفضوا فرعون فأتوا موسى عليه السلام فلم يكن في قوم موسى عليه السلام أحد أشد اجتهاداً ولا أشد حباً لهارون منهم فسماهم قوم موسى الرافضة، فأوحى الله إلى موسى: أن ثبت لهم هذا الاسم في التوراة فإني قد نحلتهم وذلك اسم قد نحلكموه الله**)[1].

ولذا سمّى الوزير أحمد بن عبيد الله بن خاقان الإمام الحسن العسكري عليه السلام بإمام الرافضة.

روى الكليني: الحسين بن محمد الأشعري ومحمد بن يحيى وغيرهما، قالوا: (كان أحمد بن عبيد الله بن خاقان على الضياع والخراج بقم فجرى في مجلسه يوماً ذكر العلوية ومذاهبهم وكان شديد النصب، فقال: ما رأيت ولا عرفت بسر من رأى رجلاً من العلوية مثل الحسن ابن علي بن محمد بن الرضا في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند أهل بيته وبني هاشم وتقديمهم إياه على ذوي السن منهم والخطر وكذلك القواد والوزراء وعامة الناس، فإني كنت يوماً قائماً على رأس أبي وهو يوم مجلسه للناس إذ دخل عليه حجابه فقالوا: أبو محمد ابن الرضا بالباب، فقال بصوت عال: ائذنوا له، فتعجبت مما سمعت منهم أنهم جسروا يكنون رجلاً على أبي بحضرته ولم يكن عنده إلا خليفة أو ولي عهد أو من أمر السلطان أن يكنى، فدخل رجل أسمر، حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن حدث السن له جلالة وهيبة فلما نظر إليه أبي قام يمشي إليه خطا ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم والقواد، فلما دنا منه عانقه وقبل وجهه وصدره وأخذ بيده وأجلسه على مصلاه الذي كان عليه وجلس إلى جنبه

١- المحاسن: ج١ ص١٥٧.

مقبلاً عليه بوجهه وجعل يكلمه ويفديه بنفسه وأنا متعجب مما أرى منه إذ دخل [عليه] الحاجب فقال: الموفق قد جاء وكان الموفق إذا دخل على أبي، تقدّم حجابه وخاصة قواده، فقاموا بين مجلس أبي وبين باب الدار سماطين إلى أن يدخل ويخرج فلم يزل أبي مقبلا على أبي محمد يحدثه حتى نظر إلى غلمان الخاصة قال حينئذٍ إذا شئت جعلني الله فداك، ثم قال لحجابه: خذوا به خلف السماطين حتى لا يراه هذا يعني الموفق ، فقام وقام أبي وعانقه ومضى، فقلت لحجاب أبي وغلمانه: ويلكم من هذا الذي كنيتموه على أبي وفعل به أبي هذا الفعل، فقالوا: هذا علوي يقال له الحسن بن علي يعرف بابن الرضا فازددت تعجباً و لم أزل يومي ذلك قلقاً متفكراً في أمره وأمر أبي وما رأيت فيه حتى كان الليل وكانت عادته أن يصلي العتمة ثم يجلس فينظر فيما يحتاج إليه من المؤامرات وما يرفعه إلى السلطان، فلما صلى وجلس، جئت فجلست بين يديه وليس عنده أحد فقال لي: يا أحمد لك حاجة ؟ قلت: نعم يا أبه، فإن أذنت لي سألتك عنها ؟ فقال: قد أذنت لك يا بني فقل ما أحببت، قلت: يا أبه، من الرجل الذي رأيتك بالغداة فعلت به ما فعلت من الإجلال والكرامة والتبجيل وفديته بنفسك وأبويك؟ فقال: يا بني، ذاك إمام الرافضة، ذاك الحسن بن علي المعروف بابن الرضا، ...) [١].

فأرادوا أن تكون صفة الرفض منقصة وسبّه إلا أنها في الحقيقة صفة المؤمنين بحاكمية الله وخلفائه عليهم السلام، فمن هنا جاء المدح لهؤلاء الرافضة الذين رفضوا متقمصي الخلافة ورضوا بحاكمية الله وتنصيبة.

عن علي بن أسباط، عن عيينة بياع القصب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (**والله لنعم الاسم الذي منحكم الله ما دمتم تأخذون بقولنا ولا تكذبون علينا**. قال: وقال لي أبو عبد الله عليه السلام هذا القول إني كنت خبرته إنّ رجلاً قال لي: إياك أن تكون رافضياً) [٢].

عن أبي الجارود، قال: (أصم الله أذنيه كما أعمى عينيه إن لم يكن سمع أبا جعفر عليه السلام يقول: **إنّ فلاناً سمانا باسم**، قال: وما ذاك الاسم ؟ قال: **سمانا الرافضة**، فقال أبو جعفر عليه السلام بيده إلى صدره: **وأنا من الرافضة وهو مني**، قالها ثلاثاً) [٣].

١- الكافي: ج١ ص٥٠٣.
٢- المحاسن: ج١ ص١٥٧.
٣- المحاسن: ج١ ص١٥٧.

عن بكر بن كرب الصيرفي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (**مالهم ولكم وما يريدون منكم وما يعيبونكم، يقولون الرافضة، نعم والله رفضتم الكذب واتبعتم الحق، أما والله إنّ عندنا ما لا نحتاج إلى أحد والناس يحتاجون إلينا، إنّ عندنا الكتاب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطه علي بيده صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها كل حلال وحرام**) [1].

عن محمد بن سليمان، عن أبيه، قال: (كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه أبو بصير وقد خفره النفس فلما أخذ مجلسه قاله له أبو عبد الله عليه السلام: **يا أبا محمد، ما هذا النفس العالي**؟ فقال: جعلت فداك يا ابن رسول الله، كبر سني ودق عظمي واقترب أجلي مع أنني لست أدري ما أرد عليه من أمر آخرتي، فقال أبو عبد الله عليه السلام: **يا أبا محمد، وإنك لتقول هذا** ؟! قال: جعلت فداك وكيف لا أقول هذا ؟! فقال: **يا أبا محمد، أما علمت أنّ الله تعالى يكرم الشباب منكم ويستحيي من الكهول** ؟ قال: قلت: جعلت فداك فكيف يكرم الشباب ويستحيي من الكهول ؟ فقال: **يكرم الله الشباب أن يعذبهم ويستحيي من الكهول أن يحاسبهم**، قال: قلت: جعلت فداك هذا لنا خاصة أم لأهل التوحيد ؟ قال: فقال: **لا والله إلا لكم خاصة دون العالم**، قال: قلت: جعلت فداك فإنا قد نبزنا نبزاً انكسرت له ظهورنا وماتت له أفئدتنا واستحلت له الولاة دماءنا في حديث رواه لهم فقهاؤهم، قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: **الرافضة** ؟ قال: قلت: نعم، قال: **لا والله ما هم سموكم ولكن الله سماكم به، أما علمت يا أبا محمد أن سبعين رجلاً من بني إسرائيل رفضوا فرعون وقومه لما استبان لهم ضلالهم فلحقوا بموسى عليه السلام لما استبان لهم هداه فسموا في عسكر موسى الرافضة؛ لأنهم رفضوا فرعون، وكانوا أشد أهل ذلك العسكر عبادة وأشدهم حباً لموسى وهارون وذريتهما عليهما السلام فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن أثبت لهم هذا الاسم في التوراة فإني قد سميتهم به ونحلتهم إياه، فأثبت موسى عليه السلام الاسم لهم ثم ذخر الله عز وجل لكم هذا الاسم حتى نحلكموه. يا أبا محمد، رفضوا الخير ورفضتم الشر، افترق الناس كل فرقة وتشعبوا كل شعبة فانشعبتم مع أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وآله وذهبتم حيث ذهبوا واخترتم من اختار الله لكم وأردتم من أراد الله فابشروا ثم ابشروا، فأنتم والله المرحومون المتقبل من**

١- بصائر الدرجات: ص١٦٩.

محسنكم والمتجاوز عن مسيئكم، من لم يأت الله ﷻ بما أنتم عليه يوم القيامة لم يتقبل منه حسنة ولم يتجاوز له عن سيئة. يا أبا محمد، فهل سررتك ؟....) [١].

فابن تيمية أراد أن يذم فمدح، كمعاوية بن أبي سفيان حينما أراد ذم علي بن أبي طالب عليه السلام قائلاً: (تقاد كما يقاد الجمل المخشوش)، فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: (**وقلت إني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع، ولعمر الله لقد أردت أن تذم فمدحت، وأن تفضَح فافتضحت. وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه**) [٢].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[٣].

* * *

وبعد هذا نعود لكلام ابن تيمية، ولنا على كلامه المتقدّم عدّة ملاحظات وردود ستكون ضمن وقفات لكي يسهل ما نريد بيانه على القارئ الكريم.

الوقفة الأولى:

قوله: (فيقال قد ذكر محمد بن جرير الطبري، وعبد الباقي بن قانع وغيرهما من أهل العلم بالأنساب والتواريخ أنّ الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب).

الجواب: لو فرض أنّ ابن جرير الطبري وابن قانع نصّا على كون الإمام العسكري عليه السلام ليس له عقب، فهل تصريحهما هذا يوجب القطع بكونه عليه السلام كذلك ورفض جميع الروايات وتصريح علماء الأنساب الذين نصوا على بنوة الإمام محمد عليه السلام له عليه السلام ؟! فهل يعقل أنّ نأخذ ونقطع بكون الإمام الحادي عشر الحسن العسكري عليه السلام لا عقب له لكون الطبري وابن قانع نصّا على ذلك ونرفض تصريح جميع علماء الأنساب الذين سيأتي ذكرهم ونقل عباراتهم ؟!

١- الكافي: ج٨ ص٣٣.
٢- نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج٣ ص٣٣.
٣- الحجر: ٧٥.

بل على الأقل تتعارض الشهادات عنده، فلا يقدّم أحداهما إلا بدليل وهذا ما لا نجده في كلامه فهو إنما قطع بكون الإمام الحسن العسكري عليه السلام لا عقب له لكون الطبري وابن قانع نصّا على كون الإمام الحسن العسكري عليه السلام كذلك، و لم يبين أين نصّا على ذلك ؟!

ثم من هو ابن قانع ؟

لنأتي إلى ابن حزم وهو يُعرّف لنا ابن قانع قائلاً:

١ اختلط عقله ...

٢ منكر الحديث ...

٣ راوي كل بلية ...

٤ غير ثقة ...

قال ابن حزم: (وعبد الباقي بن قانع مولى بني أبي الشوارب يكنى أبا الحسين، مات سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، وقد اختلط عقله قبل موته بسنة، وهو بالجملة منكر الحديث، وتركه أصحاب الحديث جملة) [١].

وقال: (وأمّا حديث أبي هريرة فكذب بحت من بلايا عبد الباقي بن قانع التي انفرد بها)[٢].

وقال تعليقاً على حديث (صب الله في أذنيه الآنك يوم القيامة): (هذا حديث موضوع مركب فضيحة ما عرف قط من طريق أنس ولا من رواية ابن المنكدر. ولا من حديث مالك. ولا من جهة ابن المبارك، وكل من دون ابن المبارك إلى ابن شعبان مجهولون، وابن شعبان في المالكيين نظير عبد الباقي بن قانع في الحنيفيين قد تأملنا حديثهما فوجدنا فيه البلاء البين. والكذب البحت. والوضع اللائح. وعظيم الفضائح فأمّا تغير ذكرهما أو اختلطت كتبهما وأمّا تعمداً الرواية عن كل من لا خير فيه من كذاب، ومغفل يقبل التلقين) [٣].

١- المحلى: ج٦ ص١٦٨.
٢- المحلى: ج٧ ص٣٨.
٣- المحلى: ج٩ ص٥٧.

وقال: (ومن طريق عبد الباقي ابن قانع راوي الكذب عن موسى بن زكريا عن عباس بن محمد بن أحمد بن يوسن) [١].

وقال أيضاً: (والخبر الثاني رواه ابن قانع راوي كل بلية) [٢].

وقال أيضاً: (وقد روى هذا الخبر أيضا من طريق عبد الباقي بن قانع راوي كل بلية) [٣].

وقال أيضاً: (ومن طريق عبد الباقي بن قانع راوي كل كذبة المنفرد بكل طامة وليس بحجة لأنه تغير بآخرة) [٤].

ونقل الذهبي عن الدارقطني أنه قال في ابن قانع: (كان يحفظ، ولكنه كان يخطئ ويصر)[٥].

وقال البرقاني: (البغداديون يوثقونه، وهو عندي ضعيف) [٦].

فهل يصح مع ما تقدّم أن يجعل قوله عائقاً ومانعاً عن الأخذ بكل ما سيأتي من تصريح علماء الأنساب والروايات، هل هذا هو الأنصاف العلمي ؟!

وأمّا ما يتعلق بابن جرير الطبري، فلا أحسبه يقصد محمد بن جرير الطبري المتوفي في القرن الرابع وهو صاحب كتاب المسترشد، ودلائل الإمامة، ونوادر المعجزات، لكونه متهم بالكذب عنده سلفاً؛ لكونه شيعياً، مضافاً إلى أنّه صرّح في كتابه دلائل الإمامة بولادة الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام قال في عرضه لحياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (ذكر ولده عليه السلام: الخلف الصالح القائم صاحب الزمان الإمام المنتظر لأمر الله صلوات الله عليه وعلى آبائه وسلم)[٧]، ثم ذكر ليلة ولادته وروى خبر أمّه الطاهرة عليها السلام، وذكر من شاهده في حياة أبيه وذكر شيوخ الطائفة الذين شاهدوه، كما وذكر من شاهده في الغيبة الكبرى، وغير ذلك.

١- المحلى: ج٩ ص٢٣١.
٢- المحلى: ج١٠ ص٦٢.
٣- المحلى: ج١٠ ص٣٧٩
٤- المحلى: ج١٠ ص١٦٥.
٥- تذكرة الحفاظ: ج٣ ص٩٣، سؤالات ابن حمزة الدارقطني: ص٢٥ وص٢٣٦، تاريخ بغداد: ج١١ ص٩٠.
٦- سؤالات ابن حمزة الدارقطني: ص٢٥، تاريخ الإسلام: ج٢٦ ص٥٩.
٧- دلائل الامامة لمحمد بن جرير الطبري (الشيعي): ص٤٢٥.

فهو يقصد الطبري صاحب التاريخ المتوفي سنة ٣١٠ هـ، وبحد تتبعي لم أجد تصريحاً للطبري في تاريخه بكون الإمام الحسن العسكري عليه السلام كان عقيماً، فلا أعلم كيف ينسب ابن تيمية له ذلك ؟!

ولو فرض أنّ الطبري نص على كون الحسن العسكري عليه السلام عقيماً فهو لم يعهد عنه معرفة الأنساب ولا يعدّوه من علماء الأنساب، بل هو مؤرخ مهتم بنقل الحوادث التاريخية التي رتبها حسب السنين في تاريخه، وهذا لا ربط له بالأنساب أبداً.

فقول علماء الأنساب هو المُقدّم في مثل ما نحن فيه، وعليه فلا يصح ذكر الطبري لكونه ليس من شأنه تثبيت ونفي النسب بل من شأنه عرض الأحداث التاريخية.

ويبدو أنّ الرجل قد طغى عليه الحقد على آل محمد عليهم السلام فراح ينفي ولادة الإمام المهدي عليه السلام بلا تحقيق الموضوع، وإلا فقد جاء تصريح الكثير من علماء الأنساب بكون محمد المهدي عليه السلام هو ابن الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، كما وأقر بولادته الكثير من علماء السنة، وإليك بعض ما وجدته بعجالة من تصريحات علماء الأنساب وكلمات بعض علماء السنة، والذين عاشوا قبل ولادة ابن تيمية الحراني.

أولاً: علماء الأنساب السنة يثبتون ولادة الإمام المهدي عليه السلام:

وأود قبل نقل كلماتهم التنبيه على شيء، وهو أنّ هناك قاعدة لطالما سمعنا الكثير يرددها، وهي: (عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود)، فلو وجد علماء الأنساب دليلاً على ولادة شخص ما صرّحوا بولادته وأثبتوا نسبه، أمّا إذا لم يجدوا فلا يمكنهم أن ينفوا ولادته، بل غاية ما يصح لهم قوله لم نجد دليلاً على ولادته، وعدم وجدانهم لدليل يثبت الولادة لا يعني أنّ الولادة غير متحققة في الواقع، أي: عدم وجدانهم لدليل الولادة لا يعني عدم تحقق الولادة في الواقع.

وعليه: فليس من حقه أن يثبت عدم الولادة متعللاً بعدم وجود الدليل.

وبعد هذا التنبيه فعلماء الأنساب من الغيبة الصغرى وحتى عام ١٢٤٦ هـ يثبتون وجود ولد للإمام العسكري وهو الإمام المهدي عليه السلام، ولنرى تصريحهم بولادة الإمام الثاني عشر

عليه السلام، مما يعني أنّهم وجدوا من الأدلة ما يكفيهم لإثبات النسب فلذا أثبتوه وصرّحوا به، ومن أولئك الذين صرّحوا بذلك:

١ النسابة الشهير أبو نصر سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان البخاري من أعلام القرن الرابع الهجري، وهو من أشهر علماء الأنساب المعاصرين لغيبة الإمام المهدي الصغرى التي انتهت سنة ٣٢٩ هـ. قال: (وولد علي بن محمد التقي عليه السلام: الحسن بن علي العسكري عليه السلام من أم ولد نوبية تدعى: ريحانة، وولد سنة إحدى وثلاثين ومائتين وقبض سنة ستين ومائتين بسامراء، وهو ابن تسع وعشرين سنة .. وولد علي بن محمد التقي عليه السلام جعفراً وهو الذي تسميه الإمامية جعفر الكذاب، وإنما تسميه الإمامية بذلك، لادعائه ميراث أخيه الحسن عليه السلام دون ابنه القائم الحجة عليه السلام. لا طعن في نسبه) [١].

٢ النسابة الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد العلوي العمري من أعلام القرن الخامس، قال: (ومات أبو محمد عليه السلام وولده من نرجس معلوم عند خاصة أصحابه وثقات أهله وسنذكر حال ولادته والأخبار التي سمعها في ذلك. وأمتحن المؤمنون بل كافة الناس بغيبته. وشره جعفر علي مال أخيه وحاله فدفع أن يكون له ولد وأعانه بعض الفراعنة على قبض جواري أخيه) [٢].

٣ النسابة صفي الدين محمد بن تاج الدين علي المعروف الطقطقي الحسني المتوفي سنة ٧٠٩، قال: (وأمّا الإمام الحسن بن علي الزكي العسكري فولد بالمدينة في يوم العاشر من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من الهجر، و لم يذكر للإمام الحسن العسكري عليه السلام ولد إلا ولده الإمام أبو القاسم محمد المهدي صاحب الزمان عليه السلام، وهو الذي ذهبت الشيعة الإمامية الإثنا عشرية إلى بقائه وأنّ المهدي الذي يظهر في آخر الزمان حسب ما بشر به جده رسول الله صلى الله عليه وآله، مولده ليلة النصف من شعبان سنة ست وخمسين ومائتين هذا هو الصحيح وقيل: غير ذلك. أمه أم ولد تدعى نرجس وقيل: صفية ولد بسر من رأى. قال العمري النسابة ومن خط يده نقلت: رويته عن والدي شيخ الشرف أبي الحسن بن أبي جعفر) [٣].

١- سر السلسلة العلوية: ص٣٩، نقلاً عن كتاب المهدي في الفكر الإسلامي: ص١٢٨.
٢- المجدي في أنساب الطالبيين: ص٣٢٥.
٣- المجدي في أنساب الطالبيين - تحقيق مهدي الطائي: ص١٦١.

٤ جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة المتوفي سنة ٨٣٨ هـ: (في ذكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام كان من الزهد والعلم على أمر عظيم وهو والد الإمام محمد المهدي صلوات الله عليه ثاني عشر الأئمة عند الإمامية وهو القائم المنتظر عندهم من أم ولد اسمها نرجس واسم أخيه أبو عبد الله جعفر الملقب بالكذّاب لادعائه الإمامة بعد أخيه الحسن ويدعى أبا كرين (أبا البنين) لأنه أولد مائة وعشرين ولداً. ويقال لولده الرضويون نسبة إلى جدّه الرضا) [١].

٥ النسابة محمد كاظم بن أبي الفتوح بن سليمان اليماني الموسوي من أعلام القرن التاسع قال: (ذكر ولد الحسن بن العسكري عليه السلام، وله من الولد: المنتظر عند الإمامية أو هو المنتظر أو غيره، وسنورد من ذلك ما بلغ إليه الاجتهاد وعلى الله الاعتماد.

ذكر محمد بن الحسن العسكري: الملقب المهدي عند الإمامية من أم ولد اسمها نرجس بفتح النون وسكون الراء وسين مهملة بعد الميم المكسورة وهد تاسع سبط وثاني عشر إمام عند الإثنا عشرية.

وقد أكثر الناس في ذلك وقد روت الإمامية في ولادته وتربيته وكيفية أمره روايات وذكر مؤرخو أهل السنة نحو من ذلك، وهو صاحب السرداب عند الإمامية وهم ينتظرون خروجه في أخر الزمان من السرداب سامراء وكانت ولادته يوم الجمعة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وتوفي أبوه وهو ابن خمس سنوات.

والشيعة يقولون: أنه دخل السرداب في دار أبيه وأمه تنظر إليه و لم يخرج إليها وذلك في السنة خمس وخمسون ومائتين وعمره يومئذٍ تسع سنين. قال ابن الأزرق في تاريخه: إنّ الحجة المذكور ولد تاسع عشر ربيع الأخر سنة ثمان وخمسين ومائتين، وقيل: في ثامن شعبان سنة خمس وسبعين ومائتين وهو يومئذٍ ابن عشرة سنة، وقال أخر من: سيولد ويكون من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب [٢].

١- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص١٨٠.
٢- النفحات العنبرية في أنساب خير البرية عندما يتعرّض لذرية الإمام العسكري عليه السلام.

٦ النسابة الزيدي السيد أبو الحسن محمد الحسيني اليماني الصنعاني وهو من أعيان القرن الحادي عشر ذكر في المشجرة التي رسمها لبيان نسب أولاد أبي جعفر محمد بن علي الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام تحت اسم الإمام علي التقي المعروف بالهادي عليه السلام خمسة من البنين، وهم: الإمام العسكري، الحسين، موسى، محمد، علي. وتحت اسم الإمام العسكري عليه السلام مباشرة كتب: (محمد بن الحسن) وبإزائه: (منتظر الإمامية) [١].

٧ مصطفى حمدي بن أحمد الكردي البالوي الدمشقي من مؤلفي القرن الرابع عشر الهجري، قال: (محمد المهدي: وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين وكان مربوع القامة حسن الوجه أقنى الأنف صبيح الجبهة) [٢].

٨ النسابة الشيخ محمد أمين البغدادي: (الحسن العسكري محمد المهدي: وكان عمره عند وفاته أبيه خمس سنين وكان مربوع القامة حَسَن الوجه والشعر أقنى الأنف صبيح الجبهة. وزعم الشيعة أنه غاب في السرداب بسر من رأى والحرس عليه مائتين وأثنين وستين وأنه صاحب السيف القائم المنتظر ... والذي اتفقت عليه العلماء على أنّ المهدي هو القائم في آخر الوقت وأنه يملا الأرض عدلاً، والأحاديث فيه وفي ظهوره كثيرة ليس هذا الموضع محل ذكرها)[٣].

٩ الفخر الرازي الشافعي المتوفي سنة (٦٠٦ هـ) في الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، قال: (أولاد الإمام العسكري عليه السلام أمّا الحسن العسكري الإمام: فله ابنان وبنتان، أمّا الابنان، فأحدهما: صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، والثاني موسى درج في حياة أبيه. وأمّا البنتان، فاطمة درجت في حياة أبيها، وأم موسى درجت أيضاً) [٤].

١٠ عارف عبد الغني، قال: (الحسن بن علي (الهادي العسكري) بن محمد (الجواد) بن علي (الرضا) بن موسى (الكاظم) بن جعفر (الصادق) بن محمد (الباقر) بن علي الحسين بن

١- روضة الألباب لمعرفة الأنساب: ص١٠٥، نقلاً عن كتاب المهدي في الفكر الإسلامي: ص١٣٠.
٢- قلائد الذهب في معرفة أنساب قبائل العرب - تقديم وتعليق وشرح كامل سلمان الجبوري منشورات دار ومكتبة الهلال بيروت: ص٧٨.
٣- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب: ص٧٧ للنسابة الشيخ، توزيع دار صعب.
٤- الشجرة المباركة في أنساب الطالبية - للفخر الرازي: ص٧٨، تحقيق السيد مهدي الرجائي.

علي بن أبي طالب الحسيني، يكنى أبا محمد من أم ولد اسمها نرجس كان من الزهد والعلم على أمر عظيم وهو والد الإمام المهدي ثاني عشر الأئمة عند الإمامية وهو القائم المنتظر عندهم)[١].

١١ محمد ويس الحيدري السوري، قال في بيان أولاد الإمام الهادي عليه السلام: (أعقب خمسة أولاد: محمد وجعفر والحسين والإمام الحسن العسكري وعائشة. فالحسن العسكري أعقب محمد المهدي صاحب السرداب).

ثم علق في هامش العبارة بما هذا نصه: (ولد في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هـ، وأمه نرجس. وصف فقالوا عنه: ناصع اللون، واضح الجبين، أبلج الحاجب، مسنون الخد، أقنى الأنف، أشم، أروع، كأنه غصن بان، وكأن غرته كوكب دري، في خده الأيمن خال كأنه فتات مسك على بياض الفضة، وله وفرة سمحاء تطالع شحمة أذنه، ما رأت العيون أقصد منه ولا أكثر حسناً وسكينة وحياء) [٢].

١٢ النسابة أنس بن يعقوب الكتبي من المدينة المنورة. قال صاحب كتاب الجوهر الشفاف في أنساب السادة الأشراف: (قام النسابة أنس بن يعقوب الكتبي من المدينة المنورة بدراسة حول هذه الشخصية (أي: الإمام المهدي عليه السلام) إنّ والده توفي في يوم الجمعة لثمان خلون من ربيع الأول سنة ٢٦٠ هـ وكان عمر الإمام المهدي هذا خمس سنوات ودخل السرداب في دار أبيه، فلم يعد من هذا السرداب وكانت أمه تنتظره، ولقد اختلف العلماء في ذلك، ولكن السنة والشيعة متفقة على اختفاءه، وإن هناك في نقابة الأشراف بمصر من يثبت بمشجرات إن نسبهم ينتهي إلى الإمام المهدي هذا، وهذا بحاجة إلى إثبات ... وللسيد أنس الكتبي بحث مطول وموثق في هذا السياق لا زال مخطوطاً) [٣].

١٣ قال النقيب الشدقمي: (الثمرة الثانية: عقب الحسن العسكري عليه السلام وكان إماماً هادياً وسيداً عالياً ومولى زاكياً، ... قاله في العمدة. فالحسن لم يعرف له ولد ظاهر، والمتواتر

١- الجوهر الشفاف في أنساب السادة الأشراف: ج١ ص١٦٠، دار كنان.
٢- الدرر البهية في الأنساب الحيدرية والاويسية: ص٧٣، للنسابة المعاصر محمد ويس الحيدري السوري. طبعة حلب سوريا ـ ١٤٠٥ هـ.
٣- كتاب الجوهر الشفاف في أنساب السادة الأشراف: ج٢ ص١٦١ في الحاشية.

أنه خلف محمداً. قال في العمدة ما لفظه: محمد بن الحسن القائم المنتظر عند الامامية، وقد أكثرت من الروايات في ولادته وغيبته وذكر مؤرخو الزيدية وأهل السنة شيئاً من ذلك) [١].

أقول: إنه أشار إلى غيبة الإمام محمد بن الحسن عليه السلام في ضمن كلامه، حيث إنه من جهة ينص على تواتر ولادته، ومن جهة ثانية يقول ليس له ولد ظاهر، أي: ليس له ولد ظاهر كما بقية الناس ظاهرين، وهذا يعني أنه نفى الظهور للخلف وأثبت كونه غائباً، فالإمام الحسن العسكري عليه السلام له ولد لكن ليس ظاهراً، فالمنفي في عبارته الظهور لا مطلق الولادة، وإلا فكيف ينسجم مع قوله بتواتر ولادته ؟!

١٤ ضامن بن شدقم الحسيني المدني، قال الباب الحادي عشر فيما يختص بالإمام القائم المنتظر المهدي محمد بن الحسن العسكري صاحب الزمان (عليهما السلام): بعد أن ذكر مقدمة قال : (الفصل الأول: يتضمن ذكر مختصر حال والدته نرجس، اسمها مليكة بنت قيصر ملك الروم ... الفصل الثاني: يتضمن مولد الإمام صاحب الزمان عليه السلام روت حكيمة بنت محمد الجواد عليه السلام وذكر قصة ولادته ثم قال : وغاب في زمن المعتمد من بني العباس لما سعى به عمه جعفر الكذاب، وذلك بإذن الله عز وجل يوم الأحد ثامن شهر رمضان سنة إحدى وستين ومائتين هجرية وعمره ثلاث سنين وأيام ... قال السيد حسين السمرقندي: لما توفي والده كان عمره الشريف خمس سنين ولما دخل السرداب في دار أبيه وأمه تنظر إليه سنة ٢٦٨ وقيل ٢٦٥ وعمره يومئذٍ تسع سنين وقيل: سبع عشرة سنة والله أعلم) [٢].

فبعد هذا لا يحق لأحد ادعاء نفي الولادة بلا توثيق، متذرعاً بذرائع واهية لا تقف أمام المنهج العلمي، فهؤلاء علماء الأنساب المختصين قد صرّحوا بما يرفع اللبس بكون الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري عليه السلام مولوداً.

ثانياً: من قال بولادة الإمام المهدي عليه السلام من أهل السنة:

بطبيعة الحال لا ننفي وجود الشواذ الذين يطلبون رؤية الله جهرة، ففي كل زمان شواذ لا تقف أمامهم أقوى الحجج والبراهين لا لعجز فيها بل لشذوذ النفوس التي تسمعها، وهؤلاء

١- نخبة الزهرة الثمينة في نسب أشراف المدينة: ص١٦٤.
٢- تحفة الأزهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار - تحقيق وتعليق كامل سلمان الجبوري: ج٢ ص٤٩٥.

بطبيعتهم لا يؤمنون بالنقاش العلمي الهادف بل يؤمنون بلغة الإشكال ولغة الانقياد وعدم الانقياد كما أسلفت في المقدمة، فهؤلاء خارجين عن لغة الحوار بالمرّة، لكون الحوار العلمي لغة العقلاء الذين يتمتعون باستقامة في مراحل البحث وترتيب النتائج، ولذا يعرف القارئ لماذا ينكر ابن تيمية ولادة الإمام محمد بن الحسن عليه السلام في الوقت الذي يؤمن به الكثير من علماء السنة ؟!

والجواب: هو الشذوذ الذي كان عند ابن تيمية كما تقدم في ترجمته، فراجع كيف ردّوا عليه علماء السنة عندما ابتدع كثيراً من المسائل العائدة للعقيدة وغيرها.

وبعد هذا لنقرأ ما صرح به العلماء حول ولادة الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام.

١ قال الذهبي في ترجمة أبو بكر أحمد بن منصور بن سيار بن معارك الرمادي البغدادي: (والمنتظر محمد بن الحسن، والرافضة تقول: لم يمت، بل اختفى في السرداب) [١]. ومن الواضح أنّ الموت فرع كونه مولوداً، فهو يقرّ بولادته لكنه ينسب عدم موته للرافضة. فالخلاف ليس في ولادته بل الخلاف في بقائه حياً، وسيأتينا الجواب عن شبهة الموت بعد الولادة فانتظر.

وقال أيضاً في كتابه العبر وهو يتكلم عن سنة ٢٥٦ هـ: (أي سنة ٢٥٦ ولد محمد بن الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق العلوي الحسيني الذي تلقبه الرافضة الخلف الحجة، وتلقبه بالمهدي، والمنتظر وتلقبه بصاحب الزمان وهو خاتم الإثني عشر) [٢]. والمقصود بقوله (محمد بن الحسن عليه السلام) هو الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، وهذا إقرار واضح من الذهبي بولادة الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، وأيضاً لاحظ تصريحه في كلامه الآتي حيث يقول وهو يتحدّث عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام فيقول: (وهو والد منتظر الرافضة، توفي إلى رضوان الله في سامراء ودفن إلى جانب والده، وأمّا ابنه محمد بن الحسن الذي يدعوه الرافضة القائم الخلف الحجة) [٣]، فهو يصرّح بكون المنتظر محمد بن الحسن عليه السلام ابناً للإمام الحسن العسكري عليه السلام.

١- سير أعلام النبلاء: ج١٢ ص٣٨٩.
٢- راجع العبر في خبر من غبر للذهبي: ج٣ ص٢١ ، وج٢ ص٣١ طبعة الكويت.
٣- تاريخ الإسلام: ج٥ حوادث ووفيات ٢٥١ – ٢٦٠، ص١١٣ – ١٥٩.

كما ويسمي الإمام محمد بن الحسن عليه السلام بـ . (الشريف)، فهل هي تسمية من دون مسمّى؟!

قال أيضاً في سير أعلام النبلاء: (المنتظر الشريف محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب الحسيني خاتمة الإثني عشر سيداً)[١]. فخاتمة الإثني عشر عليهم السلام هو الإمام محمد بن الحسن عليه السلام كما يصرّح الذهبي، فهل يقال بعد ذلك بكونه ليس مولوداً.

٢ قال ابن خلكان في وفيات الأعيان في ترجمة الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام: ("٥٦٢" أبو القاسم المنتظر أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد المذكور قبله ثاني عشر الأئمة الإثني عشر على اعتقاد الامامية المعروف بالحجة، وهو الذي تزعم الشيعة أنه المنتظر والقائم والمهدي وهو صاحب السرداب عندهم وأقاويلهم فيه كثيرة وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب بسر من رأى. كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ولما توفي أبوه وقد سبق ذكره كان عمره خمس سنين واسم أمه خمط وقيل نرجس. والشيعة يقولون إنه دخل السرداب في دار أبيه وأمه تنظر إليه فلم يعد يخرج إليها وذلك في سنة خمس وستين ومائتين وعمره يومئذ تسع سنين.

وذكر ابن الأزرق في تاريخ ميافارقين: أنّ الحجة المذكور ولد تاسع شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائتين وقيل في ثامن شعبان سنة ست وخمسين وهو الأصح. وإنه لما دخل السرداب كان عمره أربع سنين وقيل خمس سنين وقيل إنه دخل السرداب سنة خمس وسبعين ومائتين وعمره سبع عشرة سنة والله أعلم أي ذلك كان رحمه الله تعالى)[٢]. وتصريحهما أي: ابن خلكان وابن الأزرق بكونه مولوداً لا يخفى على أحد، فكيف يترجمون لشخص وهمي ؟!

١- سير أعلام النبلاء: ج١٣ ص١١٩ الترجمة رقم ٦٠.
٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ج٤ ص١٧٦، وج١ ص٥٧١ طبعة بولاق بمصر.

نعم، الخلاف بينهما وبين الشيعة هو أنّ الشيعة تقرّ وتعتقد بكونه المنتظر وهو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام وهو حي يرزق، وهذا ما نسبه إلى الشيعة، فهو لم ينسب القول بولادته للشيعة بل نسب كونه المنتظر الذي يظهر في آخر الزمان لهم.

٣ وقال ابن الأثير الجرزي: (توفي محمد العلوي العسكري وهو أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية، وهو والد محمد الذي يعتقدونه المهدي) [١]. وتصريحه واضح بكون الإمام العسكري عليه السلام أباً للإمام المهدي محمد بن الحسن عليه السلام، ثم بعد ذلك نقل اعتقاد الشيعة فيه، وكونه المهدي عليه السلام، فالخلاف بينه وبين الشيعة باعتقادهم به لا بأصل ولادته.

٤ وقال خير الدين الزركلي في ترجمة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام: (محمد بن الحسن العسكري الخالص بن علي الهادي أبو القاسم آخر الأئمة الإثني عشر عند الإمامية ولد في...)[٢]. لاحظ تصريحه بكونه عليه السلام مولوداً.

٥ قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي: (الثاني عشر من الأئمة أبو القاسم محمد: الحجة الإمام، قيل: هو المهدي المنتظر، ولد الإمام محمد الحجة بن الإمام الحسن الخالص رضي الله عنه بـ . سر من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين قبل موت أبيه بخمس سنين وكان أبوه قد أخفاه حين ولد وستر أمره لصعوبة الوقت وخوفه من الخلفاء، فإنهم كانوا في ذلك الوقت يتطلبون الهاشميين ويقصدونهم بالحبس والقتل ويريدون إعدامهم. وكان الإمام محمد الحجة يلقب أيضاً بالمهدي، والقائم، والمنتظر، والخلف الصالح، وصاحب الزمان، وأشهرها المهدي) [٣]. لاحظ تصريحه بكونه عليه السلام مولوداً.

٦ قال الشبلنجي: (فصل في ذكر مناقب محمد بن الحسن الخالص، بن علي الهادي، بن محمد الجواد، بن علي الرضا، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين بن علي أبي طالب رضي الله عنهم: أمه أم ولد يقال لها: نرجس، وقيل: صقيل، وقيل: سوسن، وكنيته أبو القاسم، ولقبه الإمامية بالحجة، والمهدي، والخلف

١- الكامل في التاريخ: ج٧ ص٢٧٤ آخر حوادث سنة ٢٦٠.
٢- الأعلام: ج٦ ص٨٠.
٣- الإتحاف بحب الأشراف: ص٦٨ طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

الصالح، والقائم، والمنتظر، وصاحب الزمان، وأشهرها المهدي) [١]. والمقصود بـ . (محمد بن الحسن عليه السلام في عبارته) هو الإمام الثاني عشر ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام. والشبلنجي بصدد بيان مناقبه، فهل هي مناقب لشخص لم يكن مولوداً ؟!

٧ جاء في تاريخ ابن الوردي المتوفي سنة (٩٧٤ هـ): (ولد محمد بن الحسن الخالص سنة خمس وخمسين ومائتين، ويزعم الشيعة أنه دخل السرداب في دار أبيه بـ . سر من رأى وأمه تنظر إليه فلم يعد إليها، وكان عمره تسع سنين، وذلك في سنة مائتين وخمس وستين، على خلاف) [٢]. لاحظ تصريحه بولادته بقوله: (ولد محمد بن الحسن ...).

٨ قال الكنجي الشافعي: (أبو محمد الحسن العسكري بن علي الهادي مولده بالمدينة ... إلى أن قال: ودفن في داره بـ . سر من رأى في البيت الذي دفن فيه أبوه، وخلف ابنه وهو الإمام المنتظر صلوات الله عليه) [٣]. فلاحظ تصريحه بكون الإمام العسكري عليه السلام خلف ابناً وهو الإمام المنتظر عليه السلام.

٩ وقال سراج الدين بن السيد عبد الله الرفاعي ثم المخزومي: (وأمّا الإمام علي الهادي ابن الإمام محمد الجواد، ولقبه النقي، والعالم، والفقيه، والأمير، والدليل، والعسكري، والنجيب. ولد في المدينة سنة إثني عشرة ومائتين من الهجرة، وتوفي شهيداً بالسم في خلافة المعتز العباسي يوم الاثنين بـ . سر من رأى لثلاث ليال خلون في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين، وكان له خمسة أولاد: الإمام الحسن العسكري، والحسين، ومحمد، وجعفر، وعائشة، فالحسن العسكري أعقب صاحب السرداب الحجة المنتظر ولي الله الإمام محمد المهدي) [٤]. فلاحظ تصريحه بكون الإمام الحسن العسكري عليه السلام أعقب من سمّاه صاحب السرداب، وسيأتي الرد على هذه الشبهة بالتفصيل، وما يهمنا هنا أنه يصرّح بكون الإمام العسكري عليه السلام له خلفاً وعقباً.

١- نور الأبصار: ص١٦٨ ط الشعبية.
٢- نقله عنه الشبلنجي في نور الأبصار: ص١٨٦.
٣- في كفاية الطالب: ص٤٥٨ طبعة الغري.
٤- في صحاح الأخبار: ص٥٥ طبعة بومباي سنة ١٣٠٦.

١٠ وقال ابن حجر الهيتمي: (و لم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله فيها الحكمة، ويسمى القائم المنتظر، قيل: لأنه ستر بالمدينة وغاب، فلم يعرف أين ذهب) [١]. فهو يصرح بكون الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام مولوداً.

١١ وقال الشيخ شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي الحنفي: (ثاني عشرهم ابنه محمد بن الحسن، وهو أبو القاسم محمد بن الحسن بن علي الهادي، بن محمد الجواد، بن علي الرضا، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. وكانت ولادته رضي الله عنه يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، ولما توفي أبوه المتقدم ذكره رضي الله عنهما كان عمره خمس سنين. واسم أمه خمط ، وقيل: نرجس ... إلى أن قال: وذكر ابن الأزرق في تاريخ ميافارقين: أنّ الحجة المذكور ولد تاسع ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ومائتين، وقيل: في ثامن شعبان سنة ست وخمسين، وهو الأصح ... إلى أن قال: وقد نظمتهم على ذلك، فقلت:

ع ليك ب الأئم ة الإثني ع شر من آل بيت المصطفى خير البشر

أب و ت راب ح سن ح سين وبغ ض زين العابدين شين

محمد الب اقر ك م عل م درى والـ صادق ادع ج عف را

بين الورى موسى هو الكاظم وابنه علي لقبه بالـ رضا وقدره ع لي

مح مد التقي ق لبه معمور ع لي النقي دره منثور

والـ عسكري الحسن الم طهر محمد المهدي سوف يظهر) [٢].

١٢ قال كمال الدين محمد بن طلحة الشامي الشافعي: (الباب الثاني عشر في أبي القاسم محمد بن الحسن الخالص بن علي المتوكل، بن محمد القانع، بن علي الرضا، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين الزكي بن علي المرتضى

١- الصواعق المحرقة: ص١٢٤ ط مصر.
٢- الشذورات الذهبية/ الأئمة الإثنا عشر: ص١١٧ طبعة بيروت.

بن أبي طالب، المهدي الحجة الخلف الصالح المنتظر عليهم السلام ورحمة الله بركاته ... وقد رتع من النبوة في أكناف عناصرها، ورضع من الرسالة أخلاف أواصرها، وترع من ألقابه بسجال معاصرها، وبرع في صفات الشرف فعقدت عليه بخياصرها، فاقتنى من الأنساب شرف نصابها، واعتلى عند الانتساب على شرف أحسابها، واجتنى الهداية من معادنها وأسبابها، فهو من ولد الطهر البتول المجزوم بكونها بضعة من الرسول، فالرسالة أصلها، وإنها لأشرف العناصر والأصول. فأمّا مولده فبسر من رأى في ثالث وعشرين شهر رمضان ثمان وخمسين ومائتين للهجرة، وأمّا نسبه أباً وأمّاً فأبوه أبو محمد الحسن الخالص بن علي المتوكل، بن محمد القانع، بن علي الرضا، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين الزكي بن علي المرتضى أمير المؤمنين. وأمه أم ولد تسمى صقيل، وقيل: حكيمة، وقيل غير ذلك. وأمّا اسمه فمحمد، وكنيته أبو القاسم، ولقبه الحجة والخلف الصالح، وقيل: المنتظر) [١].

١٣ وقال السبط ابن الجوزي في: (المهدي هو محمد بن الحسن، بن علي، بن محمد، بن علي، بن موسى بن جعفر، بن محمد، بن علي، بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكنيته أبو عبد الله وأبو القاسم، وهو الخلف الحجة صاحب الزمان، القائم، والمنتظر، والتالي، وهو آخر الأئمة. وقال: ويقال له: ذو الاسمين: محمد، وأبو القاسم. قالوا: أمه أم ولد يقال لها: صيقل)[٢].

١٤ قال السويدي: (وكان عمره أي محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام بعد وفاة أبيه خمس سنين، وكان مربوع القامة حسن الشعر أقنى الأنف صبيح الجبهة) [٣].

١٥ وقال الجهضمي، وهو من ثقات العامة: (ومن الدلائل ما جاء عن الحسن بن علي العسكري عند ولادة م ح م د بن الحسن [عليهما السلام]: زعمت الظلمة أنهم يقتلونني ليقطعوا هذا النسل، كيف رأوا قدرة القادر ؟! وسماه المؤمل) [٤].

١- مطالب السؤول: ج٢ ص٨٩ طبعة طهران.
٢- تذكرة الخواص: ص٢٠٤ طبعة طهران.
٣- سبائك الذهب: ص٧٨ طبعة المكتبة التجارية بمصر.
٤- نقله عنه الشيخ المجلسي في بحار الأنوار: ج٥٠ ص٣١٤.

١٦ وقال ابن الصباغ المصري: (ولد أبو القاسم محمد الحجة بن الحسن الخالص بـ . سر من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة. وأمّا نسبه أباً وأمّاً فهو أبو القاسم محمد الحجة بن الحسن الخالص، ابن علي الهادي، بن محمد الجواد، بن علي الرضا، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين. وأمّا أمه فأم ولد يقال لها: نرجس خير أمة، وقيل: اسمها غير ذلك. وأمّا كنيته فأبو القاسم. وأمّا لقبه فالحجة، والمهدي، والخلف الصالح، والقائم المنتظر، وصاحب الزمان، وأشهرها المهدي. صفته عليه السلام شاب مرفوع القامة، حسن الوجه والشعر، يسيل شعره على منكبيه، أقنى الأنف، أجلى الجبهة. بوابه محمد بن عثمان، معاصره المعتمد. قيل : غاب في السرداب والحرس عليه، وكان ذلك سنة ست وسبعين ومائتين للهجرة. وهذا طرف يسير مما جاء من النصوص الدالة على الإمام الثاني عشر عن الأئمة الثقات، والروايات في ذلك كثيرة أضربنا عن ذكرها، وقد دونها أصحاب الحديث في كتبهم واعتنوا بجمعها و لم يتركوا شيئاً) [١].

١٧ قال أبو العباس أحمد بن يوسف الشهير بالقرماني: (الفصل الحادي عشر: في ذكر الخلف الصالح الإمام أبي القاسم محمد بن الحسن العسكري رضي الله عنه: وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين آتاه الله فيها الحكمة كما أوتيها يحي عليه السلام صبياً، وكان مربوع القامة، حسن الوجه والشعر، أقنى الأنف، أجلى الجبهة. وقال في ص٤٢٠: ونقل عن كشف الغمة قول بأنه عليه السلام ولد في ثلاث وعشرين من رمضان، وقد اتفقوا على أن ولادته في سر من رأى. وهو سمي رسول الله ﷺ، اسمه اسمه، وكنيته كنيته، ولا يجوز ذكر اسمه في زمان الغيبة. وألقابه الشريفة: المهدي، والقائم، والمنتظر، والحجة) [٢].

١٨ قال عبد الوهاب الشعراني: (يترقب خروج المهدي عليه السلام وهو من أولاد الإمام الحسن العسكري، ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس ومائتين، وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام، فيكون عمره إلى وقتنا هذا وهو سنة ثمان وخمسين وتسعمائة : سبعمائة سنة وست ستين. هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الريش

١- الفصول المهمة: ص٢٧٤ طبعة الغري.
٢- أخبار الدول وآثار الأول: ص١١٧.

المطل على بركة الرطل بمصر المحروسة على الإمام المهدي، حين اجتمع به ووافقه على ذلك شيخنا سيدي علي الخواص رحمهما الله تعالى.

وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب السادس والستين وثلاثمائة من الفتوحات: وأعلموا أنه لابد من خروج المهدي عليه السلام لكن لا يخرج حتى تمتلئ الأرض جوراً وظلماً فيملأها قسطاً وعدلاً، ولو لم يكن من الدنيا إلاّ يوم واحد لطول الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة، وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ولد فاطمة رضي الله عنهم، جده الحسين بن علي بن أبي طالب، ووالده الحسن العسكري ابن الإمام علي النقي بالنون ابن [الإمام] محمد التقي بالتاء ابن الإمام علي الرضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين علي، ابن الإمام الحسين، ابن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه،...) [١].

١٩ قال الشيخ عثمان العثماني: (الثاني عشر محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا [عليهم السلام]، يكنى أبا القاسم، وتلقبه الإمامية بالحجة، والقائم، والمنتظر، وصاحب الزمان ... إلى أن قال: ولد في سر من رأى في الثالث والعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين. وهي جامع الأصول في أشراط الساعة وعلاماتها) [٢].

٢٠ قال العلامة الحمداوي: (قال سيدي عبد الوهاب الشعراني في اليواقيت والجواهر: المهدي من ولد الإمام الحسن العسكري [عليهما السلام]، ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم . هكذا أخبره الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطل بمصر المحروسة، ووافقه على ذلك سيدي علي الخواص) [٣].

٢١ قال السالك عبد الرحمن بن محمد بن حسين بن عمر باعلوي مفتي الديار الحضرمية: (نقل السيوطي عن شيخه العراقي أنّ المهدي [عليه السلام] ولد سنة ٢٥٥، قال: ووافقه الشيخ علي الخواص، فيكون عمره في وقتنا سنة ٩٥٨ سبعمائة وثلاث سنين. وذكر أحمد الرملي أنّ

١- اليواقيت والجواهر: ج٢ ص١٤٣ طبعة عبد الحميد أحمد الحنفي بمصر.
٢- تاريخ الإسلام والرجال: ص٣٧٠ المخطوط.
٣- مشارق الأنوار: ص١٥٣ طبعة مصر.

المهدي [عليه السلام] موجود. وكذلك الشعراني أه، من خط الحبيب علوي بن أحمد الحداد، وعلى هذا يكون عمره في سنة ١٣٠١ = ١٠٤٦ سنة) [١].

فبعد ما تقدّم لا يشك إلا من كان مريضاً يشك في البديهيات ويقول: (عترة ولو طارت)؟!!

وبعد هذا يتضح بطلان كلام ابن تيمية وبطلان غيره كمحب الدين الخطيب الذي قال: (إنه (أي: الإمام المهدي عليه السلام) شخصية موهومة نسبت كذباً للحسن العسكري الذي مات عن غير ولد وصفى أخوه جعفر تركته على أنه لا ولد له، وللعلويين سجل مواليد يقوم عليه نقيب في تلك الأزمان لا يولد منهم مولود إلا سجل فيه، ولم يسجل فيه للحسن العسكري ولد. ولا يعرف العلويون المعاصرون للحسن العسكري أنه مات من ولد ذكر) [٢].

ومن حقنا أن نسأل محب الدين هل أنه اطلع على ذلك السجل ولم ير فيه ذكراً للإمام المهدي عليه السلام، ومن هو النقيب الذين يدون المواليد ؟

وأمّا قوله بكون العلويين لا يعرفون ولادة الإمام المهدي عليه السلام فهو محض افتراء لا أكثر، بل اطلع عليه بعض العلويين، أمّا عدم معرفة البعض الآخر فلا ينفي ولادته، فيكفي أن نقول أن عدم علمهم بولادته لا يعني عدم ولادته، خصوصاً مع معرفتنا بالظروف التي ولد فيها الإمام الثاني عشر عليه السلام حيث كانت بصورة مخفية كولادة نبي الله موسى عليه السلام.

وكذلك يتضح بطلان ما يقوله الدكتور عبد العليم البستوي الذي يشم منها أنها مأخوذة من كلام ابن تيمية، فبعد أن ذكر أحاديث وروايات في المهدي عليه السلام وغيرها من طرق الشيعة قال: (هذا نموذج مختصر من تلك الأساطير والأكاذيب التي يحكونها حول المهدي المنتظر المزعوم. فقد ثبت تاريخياً أنّ الحسن العسكري مات ولم يعقب وقد مات عقيماً. وقد نص على ذلك ابن جرير وابن قانع وغيرهما من المؤرخين) [٣].

* * *

١- بغية المسترشدين : ص٢٩٦ طبعة مصر.
٢- المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة - لعبد العليم البستوي: ص٨٠.
٣- المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة - لعبد العليم البستوي: ص٨٠.

كيف يثبت ولادة شخص عند جميع العقلاء ؟

سؤال من المهم معرفة إجابته، وهو كيف يمكن إثبات ولادة شخص ما ؟

مما لا شك فيه أنّ للعقلاء طرقاً من خلالها يثبتون ولادة أي شخص بالظروف الطبيعية، وأقول بالظروف الطبيعية لكون بعض من يأتي إلى الدنيا لا تكون في وقت مجيئه الظروف طبيعية كما حصل في ولادة نبي الله موسى عليه السلام، فليس من المعقول، مع أنّ فرعون قتل الكثير من الأطفال لأجل الوصول لقتل موسى عليه السلام إثبات ولادة موسى أمام جميع الملأ بل إنما جاءت ولادته بصورة خفية كما أرادها سبحانه.

وعلى الرغم من وجود تشابه كبير وسنّة بين الإمام محمد بن الحسن عليه السلام وبين موسى عليه السلام من حيث خفاء الولادة والتكتم عليها كما سيأتي إن شاء الله، إلا أننا بغض النظر عن كل ذلك، فلو بحثنا بإنصاف وبحيادية تامة ومن خلال الطرق التي يقرّها العقلاء فهل يمكن لنا إثبات ولادة الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام أم لا ؟ هذا ما نريد التعرّف عليه.

من الطبيعي عند العقلاء اليوم جميعاً طرق لإثبات ولادة شخص ما، فكيف يثبت العقلاء ولادة شخص معين ؟

الجواب: على الأقل يوجد طريقان هما:

١ شهادة الأب أو الأم بولادة ابنهما.

٢ شهادة القابلة التي باشرت عملية التوليد.

من خلالهما يثبت العقلاء اليوم ولادة شخص معين، نعم اليوم أصبحت مستشفيات وغيرها وأسانيد وسجلات مكتوبة لكنها معتمدة على شهادة الأبوين بالولادة وبنوة الوليد لهما.

فكيف لو تحقق الطريقان مع غيرها ؟!

فقد أثبت التاريخ عدّة أمور علاوة على الطريقين المتقدمين:

١ استنابته عليه السلام نواباً أربعة في الغيبة الصغرى المحددة بتاريخ معين، وكان هؤلاء النواب يرونه وينقلون كلامه وأجوبته للناس. فنقلوا عنه ردوداً لأجوبة مسائل، وغيرها.

٢ لقد وردت أدعية وأحاديث مسندة إليه، والكلام الذي فيها لا يمكن أن يكون إلاّ من شخص حكيم.

٣ مراسلاته للشيخ المفيد رحمه الله.

٤ صرّح علماء الأنساب وغيرهم بولادته.

٥ رآه المئات بل الآف من الناس في الغيبة الكبرى.

أمّا تصريح علماء الأنساب فقد تقدّم، وأمّا من شاهده في غيبتيه فيكفي للمنصف مراجعة كتاب النجم الثاقب للميرزا النوري فقد نقل مئة قصة كلها تشهد بكون أصحابها شاهدوا الإمام المهدي محمد بن الحسن عليه السلام، فلذا نحيل القارئ إلى ما تقدّم وإلى كتاب النجم الثاقب وغيره.

وكذلك ما رواه الرواة عنه عليه السلام من أدعية وأحاديث ومراسلاته للشيخ المفيد وأجوبته عن المسائل العلمية والحوادث كجوابه عن ما كتبه أحمد بن إسحاق، وإسحاق بن يعقوب فسأتركها خشية الإطالة، ويكن للقارئ معرفتها بالرجوع للموسوعات الروائية وكتب الأدعية.

وبعد هذا إليك تفصيل لما تقدّم:

أولاً: شهادة أبيه بولادته ونصه عليه [١]

وسننقل بعضاً من تلك الروايات خشية الإطالة، ومن شاء المزيد فعليه بمراجعة كتاب الكافي، وكمال الدين، والغيبة للطوسي، والغيبة للنعماني، وكفاية الأثر، وغيرها.

١ علي بن محمد [٢]، عن محمد بن علي بن بلال، قال: (خرج إلي من أبي محمد قبل مضيه بسنتين يخبرني بالخلف من بعده، ثم خرج إلي من قبل مضيه بثلاثة أيام يخبرني بالخلف من بعده) [٣].

٢ محمد بن يحيى، عن أحمد بن إسحاق، عن أبي هاشم الجعفري، قال: (قلت لأبي محمد عليه السلام: جلالتك تمنعني من مسألتك، فتأذن لي أن أسألك ؟ فقال: **سل**، قلت: يا سيدي، هل لك ولد ؟ فقال: **نعم**، فقلت: فإن بك حدث فأين أسأل عنه ؟ فقال: **بالمدينة**) [٤].

٣ علي بن محمد، عن جعفر بن محمد الكوفي، عن جعفر بن محمد المكفوف، عن عمرو الأهوازي، قال: (أراني أبو محمد ابنه وقال: **هذا صاحبكم من بعدي**) [٥].

٤ علي بن محمد، عن حمدان القلانسي، قال: (قلت للعمري: قد مضى أبو محمد ؟ فقال لي: قد مضى ولكن قد خلف فيكم من رقبته مثل هذه، وأشار بيده) [٦].

١- أود أن أنقل هنا ما قاله الشيخ الطوسي في الغيبة: ص٢٢٩، قال: (فصل: فأمّا الكلام في ولادة صاحب الزمان وصحتها فأشياء اعتبارية وأشياء إخبارية فأما الاعتبارية فهو أنه إذا ثبت إمامته بما دللنا عليه من الأقسام، وإفساد كل قسم منها إلا القول بإمامته ثبت إمامته وعلمنا بذلك صحة ولادته إن لم يرد فيه خبر أصلاً. وأيضاً ما دللنا عليه من أنّ الأئمة اثنا عشر يدل على صحة ولادته؛ لأن العدد لا يكون إلاّ لموجود. وما دللنا على أن صاحب الأمر لابد له من غيبتين يؤكد ذلك؛ لأنّ كل ذلك مبني على صحة ولادته. وأمّا تصحيح ولادته من جهة الاخبار فسنذكر في هذا الكتاب طرفاً مما روي فيه جملة وتفصيلاً، ونذكر بعد ذلك جملة من أخبار من شاهده ورآه؛ لأنّ استيفاء ما روي في هذا المعنى يطول به الكتاب).

٢- المراد بعلي بن محمد هو علي بن محمد الكليني الثقة وهو خال ثقة الإسلام الكليني وله كتاب في ولادة الإمام المهدي عليه السلام. ويحتمل أيضاً إرادة محمد بن علي بن بندار الأديب. وكلاهما ثقة ولا ضرر أن يدور الأمر بين شخصين ثقتين. وأمّا علي بن بلال فهو ثقة معلوم عند أهل الرجال.

٣- الكافي: ج١ ص٣٢٨.

٤- الكافي: ج١ ص٣٢٨.

٥- الكافي: ج١ ص٣٢٨.

٦- الكافي: ج١ ص٣٢٨.

٥ الحسين بن محمد الأشعري، عن معلى بن محمد، عن أحمد بن محمد بن عبد الله، قال: (خرج عن أبي محمد عليه السلام حين قتل الزبيري لعنه الله [١]: **هذا جزاء من اجترأ على الله في أوليائه، يزعم أنه يقتلني وليس لي عقب، فكيف رأى قدرة الله فيه**. وولد له ولد سماه (م ح م د) في سنه ست وخمسين ومائتين) [٢].

٦ علي بن محمد، عن الحسين ومحمد ابني علي بن إبراهيم، عن محمد بن علي بن عبد الرحمن العبدي من عبد قيس ، عن ضوء بن علي العجلي، عن رجل من أهل فارس سماه قال: (أتيت سامراء ولزمت باب أبي محمد عليه السلام فدعاني، فدخلت عليه وسلمت فقال: **ما الذي أقدمك** ؟ قال: قلت: رغبة في خدمتك، قال: فقال لي: **فالزم الباب**، قال: فكنت في الدار مع الخدم، ثم صرت أشتري لهم الحوائج من السوق وكنت أدخل عليهم من غير إذن إذا كان في الدار رجال، قال: فدخلت عليه يوماً وهو في دار الرجال فسمعت حركة في البيت فناداني: **مكانك لا تبرح**. فلم أجسر أن أدخل ولا أخرج، فخرجت عليّ جارية معها شيء مغطى، ثم ناداني ادخل، فدخلت ونادى الجارية فرجعت إليه، فقال لها: **اكشفي عما معك**. فكشفت عن غلام أبيض حسن الوجه وكشف عن بطنه فإذا شعر نابت من لبته إلى سرته أخضر ليس بأسود، فقال: **هذا صاحبكم**. ثم أمرها فحملته فما رأيته بعد ذلك حتى مضى أبو محمد عليه السلام) [٣].

٧ حدثنا محمد بن علي ماجيلويه، ومحمد بن موسى بن المتوكل، وأحمد بن محمد ابن يحيى العطار رضي الله عنهم، قالوا: حدثنا محمد بن يحيى العطار، قال: حدثني إسحاق بن رياح البصري، عن أبي جعفر العمري، قال: (لما ولد السيد عليه السلام قال أبو محمد عليه السلام: **ابعثوا إلى أبي عمرو**. فبعث إليه فصار إليه فقال له: **اشتر عشرة آلاف رطل خبز، وعشرة آلاف رطل لحم وفرقه أحسبه قال: على بني هاشم وعق عنه بكذا وكذا شاة**) [٤].

١- الزبيري كان لقب بعض الأشقياء من ولد الزبير كان في زمانه عليه السلام فهدده وقتله الله على يد الخليفة أو غيره وصحف بعضهم وقرء بفتح الزاء وكسر الباء من الزبير بمعنى الداهية كناية عن المهتدى العباسي حيث قتله الموالي.
٢- الكافي: ج١ ص٣٢٨ ، كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٢٩.
٣- الكافي: ج١ ص٣٢٨.
٤- كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٣١.

٨ حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه، قال: حدثني عبد الله بن جعفر الحميري، قال: حدثني محمد بن إبراهيم الكوفي: (إنّ أبا محمد عليه السلام بعث إلى بعض من سماه لي بشاة مذبوحة، وقال: **هذه من عقيقة ابني محمد**) [١].

٩ حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، قال: حدثنا محمد بن أحمد العلوي، عن أبي غانم الخادم، قال: (ولد لأبي محمد عليه السلام ولد فسماه محمداً، فعرضه على أصحابه يوم الثالث، وقال: **هذا صاحبكم من بعدي، وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتد إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً**) [٢].

١٠ حدثنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن عبد الله بن مهران الآبي الأزدي العروضي بمرو، قال: حدثنا أحمد بن الحسن بن إسحاق القمي، قال: (لما ولد الخلف الصالح عليه السلام ورد عن مولانا أبي محمد الحسن بن علي (عليهما السلام) إلى جدي أحمد بن إسحاق كتاب فإذا فيه مكتوب بخط يده عليه السلام الذي كان ترد به التوقيعات عليه، وفيه: **ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً، فإنا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته والولي لولايته، أحببنا إعلامك ليسرك الله به، مثل ما سرنا به، والسلام**) [٣].

ثانياً: شهادة من رأى الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام في الغيبة الصغرى

لقد شهد الكثير بولادة الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، وإلى القارئ ذكر بعض من شاهده.

١ شهادة السيدة الفاضلة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام:

روى الصدوق في كمال الدين:

١ حدثنا محمد بن الحسن بن الوليد رضي الله عنه، قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، قال: حدثنا أبو عبد الله الحسين بن رزق الله، قال: حدثني موسى بن محمد بن القاسم بن

١- كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٣٢.
٢- كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٣٢.
٣- كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٣٣.

حمزة بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال: حدثتني حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، قالت: (بعث إليّ أبو محمد الحسن بن علي (عليهما السلام)، فقال: **يا عمة، اجعلي إفطارك [هذه] الليلة عندنا، فإنها ليلة النصف من شعبان فإنّ الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة وهو حجته في أرضه**. قالت: فقلت له: ومن أمه ؟ قال لي: **نرجس**، قلت له: جعلني الله فداك ما بها أثر، فقال: **هو ما أقول لك**. قالت: فجئت، فلما سلمت وجلست جاءت تترع خفي وقالت لي: يا سيدتي [وسيدة أهلي] كيف أمسيت ؟ فقلت: بل أنت سيدتي وسيدة أهلي، قالت: فأنكرت قولي وقالت: ما هذا يا عمة ؟ قالت: فقلت لها: يا بنية، إنّ الله تعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيداً في الدنيا والآخرة، قالت: فخجلت واستحيت. فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرت وأخذت مضجعي فرقدت، فلما أن كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث ثم جلست معقبة، ثم اضطجعت ثم انتبهت فزعة وهي راقدة، ثم قامت فصلت ونامت.

قالت حكيمة: وخرجت أتفقد الفجر فإذا أنا بالفجر الأول كذنب السرحان وهي نائمة فدخلني الشكوك، فصاح بي أبو محمد عليه السلام من المجلس فقال: **لا تعجلي يا عمة فهاك الأمر قد قرب**.

قالت: فجلست وقرأت ألم السجدة ويس، فبينما أنا كذلك إذ انتبهت فزعة فوثبت إليها فقلت: اسم الله عليك، ثم قلت لها: أتحسين شيئاً ؟ قالت: نعم يا عمة، فقلت لها: اجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ما قلت لك، قالت: فأخذتني فترة وأخذتها فترة فانتبهت بحس سيدي فكشفت الثوب عنه فإذا أنا به عليه السلام ساجداً يتلقى الأرض بمساجده فضممته إليّ فإذا أنا به نظيف متنظف، فصاح بي أبو محمد عليه السلام: **هلمي إليّ ابني يا عمة**. فجئت به إليه فوضع يديه تحت أليتيه وظهره ووضع قدميه على صدره ثم أدلى لسانه في فيه وأمر يده على عينيه وسمعه ومفاصله، ثم قال: **تكلم يا بني**، فقال: **أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله** صلى الله عليه وآله، ثم صلى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة عليهم السلام إلى أن وقف على أبيه،

ثم أحجم. ثم قال أبو محمد عليه السلام: **يا عمة، اذهبي به إلى أمه ليسلم عليها وائتني به**. فذهبت به فسلم عليها ورددته فوضعته في المجلس، ثم قال: **يا عمة، إذا كان يوم السابع فأتينا**.

قالت حكيمة: فلما أصبحت جئت لأسلم على أبي محمد عليه السلام وكشفت الستر لأتفقد سيدي عليه السلام فلم أره، فقلت: جعلت فداك ما فعل سيدي ؟ فقال: **يا عمة، استودعناه الذي استودعته أم موسى موسى عليه السلام**.

قالت حكيمة: فلما كان في اليوم السابع جئت فسلمت وجلست فقال: **هلمي إليّ ابني**. فجئت بسيدي عليه السلام وهو في الخرقة ففعل به كفعلته الأولى، ثم أدلى لسانه في فيه كأنه يغذيه لبناً أو عسلاً، ثم قال: **تكلم يا بني**، فقال: **أشهد أن لا إلا إله الله**، وثنى بالصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين حتى وقف على أبيه عليه السلام، ثم تلا هذه الآية: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ۞ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ**﴾[1].

قال موسى: فسألت عقبة الخادم عن هذه، فقال: صدقت حكيمة) [2].

٢ حدثنا الحسين بن أحمد بن إدريس رضي الله عنه، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل، قال: حدثني محمد بن إبراهيم الكوفي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الطهوي، قال: (قصدت حكيمة بنت محمد عليه السلام بعد مضي أبو محمد عليه السلام أسألها عن الحجة وما قد اختلف فيه الناس من الحيرة التي هم فيها، فقالت لي: اجلس. فجلست، ثم قالت: يا محمد، إنّ الله تبارك وتعالى لا يخلي الأرض من حجة ناطقة أو صامتة، و لم يجعلها في أخوين بعد الحسن والحسين (عليهما السلام) تفضيلاً للحسن والحسين وتتريهاً لهما أن يكون في الأرض عديلهما، إلا أنّ الله تبارك وتعالى خص ولد الحسين بالفضل على ولد الحسن (عليهما السلام) كما خص ولد هارون على ولد موسى عليه السلام وإن كان موسى حجة على هارون، والفضل لولده إلى يوم القيامة، ولا بد للأمة من حيرة يرتاب فيها المبطلون ويخلص فيها المحقون؛ كيلا يكون

١- القصص: ٥ – ٦.
٢- كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٢٤.

للخلق على الله حجة، وإنّ الحيرة لا بد واقعة بعد مضي أبي محمد الحسن عليه السلام. فقلت: يا مولاتي، هل كان للحسن عليه السلام ولد ؟ فتبسمت ثم قالت: إذا لم يكن للحسن عليه السلام عقب فمن الحجة من بعده وقد أخبرتك أنه لا إمامة لأخوين بعد الحسن والحسين (عليهما السلام)، فقلت: يا سيدتي، حدثيني بولادة مولاي وغيبته عليه السلام.

قالت: نعم، كانت لي جارية يقال لها: نرجس، فزارني ابن أخي فأقبل يحدق النظر إليها، فقلت له: يا سيدي، لعلك هويتها فأرسلها إليك ؟ فقال لها: **لا يا عمة ولكني أتعجب منها**. فقلت: وما أعجبك [منها] ؟ فقال عليه السلام: **سيخرج منها ولد كريم على الله عز وجل الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً**. فقلت: فأرسلها إليك يا سيدي ؟ فقال: استأذني في ذلك أبي عليه السلام. قالت: فلبست ثيابي وأتيت مترل أبي الحسن عليه السلام فسلمت وجلست فبدأني عليه السلام وقال: **يا حكيمة، ابعثي نرجس إلى ابني أبي محمد**. قالت: فقلت: يا سيدي، على هذا قصدتك على أن أستأذنك في ذلك، فقال لي: **يا مباركة، إنّ الله تبارك وتعالى أحب أن يشركك الأجر ويجعل لك في الخير نصيباً**. قالت حكيمة: فلم ألبث أن رجعت إلى مترلي وزينتها ووهبتها لأبي محمد عليه السلام وجمعت بينه وبينها في مترلي فأقام عندي أياماً، ثم مضى إلى والده (عليهما السلام) ووجهت بها معه.

قالت حكيمة: فمضى أبو الحسن عليه السلام وجلس أبو محمد عليه السلام مكان والده وكنت أزوره كما كنت أزور والده، فجاءتني نرجس يوماً تخلع خفي، فقالت: يا مولاتي، ناوليني خفك، فقلت: بل أنت سيدتي ومولاتي والله لا أدفع إليك خفي لتخلعيه ولا لتخدميني بل أنا أخدمك على بصري، فسمع أبو محمد عليه السلام ذلك فقال: **جزاك الله يا عمة خيراً**. فجلست عنده إلى وقت غروب الشمس فصحت بالجارية وقلت: ناوليني ثيابي لانصرف. فقال عليه السلام: **لا يا عمتا، بيتي الليلة عندنا فإنه سيولد الليلة المولود الكريم على الله عز وجل الذي يحيى الله عز وجل به الأرض بعد موتها**. فقلت: ممن يا سيدي ولست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحبل ؟ فقال: **من نرجس لا من غيرها**. قالت: فوثبت إليها فقلبتها ظهراً لبطن فلم أر بها أثر حبل، فعدت إليه عليه السلام فأخبرته بما فعلت، فتبسم ثم قال لي: **إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل لأن مثلها مثل**

أم موسى عليه السلام لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها؛ لأن فرعون كان يشق بطون الحبالى في طلب موسى عليه السلام، وهذا نظير موسى عليه السلام.

قالت حكيمة: فعدت إليها فأخبرتها بما قال وسألتها عن حالها فقالت: يا مولاتي، ما أرى بي شيئاً من هذا، قالت حكيمة: فلم أزل أرقبها إلى وقت طلوع الفجر وهي نائمة بين يدي لا تقلب جنباً إلى جنب، حتى إذا كان آخر الليل وقت طلوع الفجر وثبت فزعة فضممتها إلى صدري وسميت عليها فصاح [إلي] أبو محمد عليه السلام وقال: **اقرئي عليها ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾**، فأقبلت أقرأ عليها وقلت لها: ما حالك ؟ قالت: ظهر [بي] الأمر الذي أخبرك به مولاي، فأقبلت أقرأ كما أمرني، فأجابني الجنين من بطنها يقرأ مثل ما أقرأ وسلم عليّ ! قالت حكيمة: ففزعت لما سمعت، فصاح بي أبو محمد عليه السلام: **لا تعجبي من أمر الله عز وجل، إنّ الله تبارك وتعالى ينطقنا بالحكمة صغاراً، ويجعلنا حجة في أرضه كباراً**. فلم يستتم الكلام حتى غيبت عني نرجس فلم أرها كأنه ضرب بيني وبينها حجاب، فعدوت نحو أبي محمد عليه السلام وأنا صارخة، فقال لي: **ارجعي يا عمة فإنك ستجديها في مكانها**. قالت: فرجعت فلم ألبث أن كشف الغطاء الذي كان بيني وبينها وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشى بصري، وإذا أنا بالصبي عليه السلام ساجداً لوجهه، جاثياً على ركبتيه، رافعاً سبابتيه، وهو يقول: **أشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له]، وأنّ جدي محمداً رسول الله، وأن أبي أمير المؤمنين**. ثم عد إماماً إماماً إلى أن بلغ إلى نفسه. ثم قال: **اللهم أنجز لي ما وعدتني وأتمم لي أمري وثبت وطأتي، وأملأ الأرض بي عدلاً وقسطاً**. فصاح بي أبو محمد عليه السلام فقال: **يا عمة، تناوليه وهاتيه**. فتناولته وأتيت به نحوه، فلما مثلت بين يدي أبيه وهو على يدي سلم على أبيه فتناوله الحسن عليه السلام مني [والطير ترفرف على رأسه] وناوله لسانه فشرب منه، ثم قال: **امضي به إلى أمّه لترضعه ورديه إليّ**. قالت: فتناولته أمّه فأرضعته، فرددته إلى أبي محمد عليه السلام والطير ترفرف على رأسه، فصاح بطير منها فقال له: **أحمله واحفظه ورده إلينا في كل أربعين يوماً**. فتناوله الطير وطار به في جو السماء وأتبعه سائر الطير، فسمعت أبا محمد عليه السلام يقول: **أستودعك الله الذي أودعته أم موسى موسى**. فبكت نرجس فقال لها: **اسكتي، فإنّ الرضاع محرّم عليه إلا من ثديك، وسيعاد إليك كما رد موسى إلى أمه وذلك قول الله عز وجل: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ**

تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾[١]. قالت حكيمة: فقلت: وما هذا الطير ؟ قال: **هذا روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفقهم ويسددهم ويربيهم بالعلم.**

قالت حكيمة: فلما كان بعد أربعين يوماً رد الغلام ووجه إلي ابن أخي عليه السلام فدعاني، فدخلت عليه فإذا أنا بالصبي متحرك يمشي بين يديه، فقلت: يا سيدي هذا ابن سنتين ؟ فتبسم عليه السلام، ثم قال: **إنّ أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمة ينشؤون بخلاف ما ينشؤ غيرهم، وإنّ الصبي منا إذا كان أتى عليه شهر كان كمن أتى عليه سنة، وإنّ الصبي منا ليتكلم في بطن أمه ويقرأ القرآن ويعبد ربه عزوجل، [و] عند الرضاع تطيعه الملائكة وتترل عليه صباحاً ومساء.**

قالت حكيمة: فلم أزل أرى ذلك الصبي في كل أربعين يوماً إلى أن رأيته رجلاً قبل مضي أبي محمد عليه السلام بأيام قلائل فلم أعرفه، فقلت لابن أخي عليه السلام: من هذا الذي تأمرني أن أجلس بين يديه ؟ فقال لي: **هذا ابن نرجس، وهذا خليفتي من بعدي وعن قليل تفقدوني فاسمعي له وأطيعي.** قالت حكيمة: فمضى أبو محمد عليه السلام بعد ذلك بأيام قلائل، وافترق الناس كما ترى ووالله إني لأراه صباحاً ومساءً وإنه لينبئني عما تسألون عنه فأخبركم، ووالله إني لأريد أن أسأله عن الشيء فيبدأني به وإنه ليرد عليّ الأمر فيخرج إليّ منه جوابه من ساعته من غير مسألتي. وقد أخبرني البارحة بمجيئك إليّ وأمرني أن أخبرك بالحق.

قال محمد بن عبد الله: فوالله لقد أخبرتني حكيمة بأشياء لم يطلع عليها أحد إلا الله عزوجل، فعلمت أن ذلك صدق وعدل من الله عزوجل؛ لأنّ الله عزوجل قد أطلعه على ما لم يطلع عليه أحداً من خلقه) [٢].

٣ وروى الكليني: محمد بن يحيى، عن الحسين بن رزق الله أبو عبد الله، قال: حدثني موسى بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر، قال: (حدثتني حكيمة ابنة محمد بن علي وهي عمة أبيه أنها رأته ليلة مولده وبعد ذلك) [٣].

١- القصص: ١٣.
٢- كمال الدين وتمام النعمة: ص ٤٢٦.
٣- الكافي: ج١ ص٣٣٠.

٤ الخرائج: روي عن حكيمة، قالت: (دخلت على أبي محمد عليه السلام بعد أربعين يوماً من ولادة نرجس فإذا مولانا صاحب الزمان يمشي في الدار فلم أر لغة أفصح من لغته، فتبسم أبو محمد عليه السلام فقال: **إنا معاشر الأئمة ننشأ في يوم كما ينشأ غيرنا في سنة**. قال: ثم كنت بعد ذلك أسأل أبا محمد عنه فقال: **استودعناه الذي استودعته أم موسى ولدها**) [١].

لفت نظر:

ربما يقال بأنّ حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام لا وجود لها في التاريخ، ولو سلمنا أنها موجودة فهي غير موثقة فلا يعتمد قولها ولا تقبل شهادتها.

والجواب على ذلك، أقول:

أولاً: إنّ السيدة حكيمة قد جاء عنها الكثير من الروايات في كتب الشيعة قبل أن يولد الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، وكان لها الكثير من المواقف، وروت الكثير من الروايات التي ذكرتها الموسوعات الروائية التي يطيل بنا المقام عند نقلها بأكملها. ومن تلك الروايات:

عيون المعجزات: صفوان، عن أبي نصر الهمداني، عن حكيمة بنت أبي الحسن القرشي وكانت من الصالحات، قالت: (لما قبض أبو جعفر عليه السلام أتيت أم الفضل بنت المأمون أو قالت: أم عيسى بنت المأمون فعزيتها فوجدتها شديدة الحزن، ... الخ) [٢].

مناقب ابن شهرآشوب: صفوان بن يحيى، قال: (حدثني أبو نصر الهمداني وإسماعيل بن مهران وخيران الأسباطي، عن حكيمة بنت أبي الحسن القرشي، عن حكيمة بنت موسى بن عبد الله، عن حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى التقي عليه السلام، وساق الحديث) [٣].

١- بحار الأنوار: ج٥١ ص٢٩٣.
٢- بحار الأنوار: ج٥٠ ص٩٨.
٣- بحار الأنوار: ج٥٠ ص٩٨.

ثانياً: قد عدّها الكثير من أولاد الإمام الجواد عليه السلام.

قال الطبرسي في إعلام الورى: (وخلف (أي الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام) من الولد علياً ابنه الإمام، وموسى، ومن البنات حكيمة، وخديجة، وأم كلثوم، ويقال: إنه خلف فاطمة، وأمامة ابنتيه و لم يخلف غيرهم) [١].

وقال حسن بن محمد بن حسن القمي: (أولاد الجواد عليه السلام: علي العسكري عليه السلام، وموسى، جد السادة الرضوية بقم. وخديجة، وحكيمة، وأم كلثوم، وأمهم أم ولد) [٢].

وقال أبو جعفر الطبري: (ذكر ولده [أي أبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليهما السلام]: أبو الحسن علي بن محمد العسكري الإمام عليه السلام، وموسى. ومن البنات: خديجة وحكيمة وأم كلثوم) [٣].

وقال الفخر الرازي: (وأمّا أبو جعفر التقي عليه السلام، فله من الأبناء ثلاثة: أبو الحسن علي النقي عليه السلام الإمام، وموسى، ويحيى، وولده وولده بقم. وله من البنات خمسه: فاطمة، وبهجت، صاحب الرواية، وبريهة، وحكيمة، وخديجة. لا عقب للبنات ولا ليحيى) [٤].

وقال ابن شهرآشوب: (قال ابن بابويه رحمه الله: وأولاده [أي أبي جعفر الثاني عليه السلام] علي الإمام عليه السلام، وموسى، وحكيمة، وخديجة، وأم كلثوم. وقال أبو عبد الله الحارثي: خلف [أبو جعفر الثاني عليه السلام] فاطمة، وأمامة فقط) [٥].

وقال القندوزي الحنفي: (والعقب من ولده [أي أبي جعفر الثاني عليه السلام] في رجلين: علي الهادي عليه السلام، وموسى المبرقع، فأولاد موسى، بالري وقم وما قاربهما. وسائر أولاده الحسن وحكيمة وأمامة وفاطمة رضي الله عنهم) [٦].

١- بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٣.
٢- تاريخ قم : ص٢٠١، نقلاً عن موسوعة الإمام الجواد عليه السلام: ج١ ص٤٣.
٣- دلائل الإمامة: ص٣٩٧، نقلاً عن موسوعة الإمام الجواد عليه السلام: ج١ ص٤٣.
٤- الشجرة المباركة: ص٧٨.
٥- موسوعة الإمام الجواد عليه السلام: ج١ ص٤٤.
٦- ينابيع المودة: ج٣ ص١٦٩، نقلاً عن موسوعة الإمام الجواد عليه السلام: ج١ ص ٤٥.

وبعد هذا لو جئنا لكتب التراجم فنجدهم يثبتون أنّ حكيمة من أولاد الإمام الجواد عليه السلام أيضاً و لم يتعرّضوا لها بقدح.

قال الأردبيلي في جامع الرواة: (حكيمة ابنة محمد بن علي (عليهما السلام) روى موسى بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر، قال: حدثتني حكيمة ابنة محمد بن علي (عليهما السلام) وهي عمة أبيه في (في) في باب في تسمية من رآه عليه السلام. حكيمة بنت موسى روى محمد بن حجرش عنها، قالت: رأيت الرضا عليه السلام في باب إنّ الجن يأتيهم فيسئلونهم)[1].

وقال السيد بحر العلوم في الفوائد الرجالية: (حكيمة بنت الإمام أبي جعفر الثاني عليه السلام على اسم عمة أبيها حكيمة بنت أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، وهي التي حضرت ولادة القائم الحجة عليه السلام كما حضرت حكيمة عمتها ولادة أبي جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام. وحكيمة بالكاف في الموضعين. أمّا (حليمة باللام) فمن تصحيف العوام. قال السروي في (المناقب): حكيمة بنت أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قالت: لما حضرت ولادة (الخيزران) أم أبي جعفر عليه السلام دعاني الرضا عليه السلام فقال لي: **يا حكيمة، احضري ولادتها وادخلي وإياها والقابلة بيتاً**. ووضع لنا مصباحاً وأغلق الباب علينا، فلما أخذها الطلق طفئ المصباح، وبين يديها طست فاغتممت بطفء المصباح فبينما نحن كذلك إذ بدر أبو جعفر عليه السلام في الطست، وإذا عليه شيء رقيق كهيئة الثوب يسطع نوره حتى أضاء البيت فأبصرناه فأخذته فوضعته في حجري ونزعت عنه ذلك الغشاء فجاء الرضا عليه السلام ففتح الباب وقد فرغنا من أمره فأخذه، فوضعه في المهد، وقال لي: **يا حكيمة، الزمي مهده**. قالت: فلما كان في اليوم الثالث رفع بصره إلى السماء ثم نظر يمينه ويساره ثم قال: **أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله**. فقمت ذعرة فزعة، فأتيت أبا الحسن عليه السلام، فقلت له سمعت عجباً من هذا الصبي، فقال: وما ذاك ؟ فأخبرته الخبر، فقال: **يا حكيمة، ما ترون من عجائبه أكثر**.

وقال العلامة المجلسي (رحمه الله) في مزار البحار: إنّ في القبة الشريفة يعني قبة العسكريين عليه السلام قبراً منسوباً إلى النجيبة الكريمة العالمة الفاضلة التقية الرضية: حكيمة بنت أبي جعفر الجواد عليه السلام. وما أدرى لَمَ لم يتعرضوا لزيارتها مع ظهور فضلها وجلالتها، وإنها

١- جامع الرواة: ج٢ ص٤٥٧.

كانت مخصوصة بالأئمة عليهم السلام ومودعة أسرارهم، وكانت أم القائم عليه السلام عندها، وكانت حاضرة عند ولادته، وكانت تراه حيناً بعد حين في حياة أبي محمد العسكري عليه السلام، وكانت من السفراء والأبواب بعد وفاته: فينبغي زيارتها بما أجرى الله على اللسان مما يناسب فضلها وشأنها والله الموفق. انتهى كلامه شرف مقامه.

قلت: عدم التعرض لزيارتها (رضي الله عنها) كما أشار إليه الخال المفضال عجيب، وأعجب منه عدم تعرض الأكثر كالمفيد في الإرشاد غيره في كتب التواريخ والسير والنسب لها في أولاد الجواد عليه السلام بل حصر بعضهم بناته عليه السلام في غيرها.

قال المفيد (رحمه الله): وخلف أبو جعفر الجواد عليه السلام من الولد علياً ابنه الإمام من بعده وموسى، وفاطمة، وأمامة و لم يخلف ذكراً غير من سميناه.

قال الطبرسي في (إعلام الورى): وخلف من الولد علياً الإمام وموسى، ومن البنات: حكيمة وخديجة وأم كلثوم. ويقال: خلف فاطمة وأمامة ابنتيه، و لم يخلف غيرهم.

وقال السروي في (المناقب): وأولاده: علي الإمام، وموسى، وحكيمة، وخديجة، وأم كلثوم. قال: وقال أبو عبد الله الحارثي: خلف فاطمة وأمامة فقط) [١].

وقال السيد الخوئي في معجم رجال الحديث: (١٥٦٦٢ حكيمة ابنة محمد بن علي (عليهما السلام): روى محمد بن يعقوب بسنده، عن موسى بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر عليه السلام، قال: (حدثتني حكيمة ابنة محمد بن علي (عليهما السلام)، وهي عمة أبيه (صاحب الزمان) سلام الله عليه: أنها رأته ليلة مولده وبعد ذلك. الكافي: الجزء ١، باب تسمية من رآه عليه السلام ٧٧، الحديث ٣. وذكر الشيخ الصدوق (قدس سره) قصة ولادة الحجة سلام الله عليه، وأنّ حكيمة هي التي تولت أمر نرجس والدة الإمام عليه السلام. كمال الدين: الجزء ٢، الباب ٤٢، فيما روي في ميلاد القائم عليه السلام، الحديث) [٢].

وقال الشيخ التستري: (حكيمة بنت أبي جعفر الثاني عليه السلام، قال: قال في مزار البحار: إنّ في قبة العسكري عليه السلام قبراً منسوباً إليها، وما أدري لَمَ لم يتعرّضوا لزيارتها مع كونها مخصوصة

١- الفوائد الرجالية: ج٢ ص٣١٥.
٢- معجم رجال الحديث: ج٢٤ ص٢١٤.

بهم عليهم السلام وكانت أم القائم عليه السلام عندها، وكانت حاضرة عند ولادتها، وكانت تراه حيناً بعد حين في حياة العسكري عليه السلام.

وقال الوحيد: وأعجب منه عدم تعرض الأكثر كالمفيد وغيره لها في أولاد الجواد عليه السلام قال المفيد: خلف الجواد عليه السلام من الولد علياً عليه السلام وموسى وفاطمة وأمامة).

وقال الطبرسي: وخلف من الولد: علياً وموسى، ومن البنات حكيمة وخديجة وأم كلثوم.

وقال أبو عبد الله الغضائري والحائري: خلف فاطمة وأمامة فقط.

أقول: نقل المصنف كلام الطبرسي كالمفيد لعدم ذكر حكيمة في أولاد الجواد عليه السلام مع أنها مذكورة في ما نقل، ولعله حرف عليه. كما أنّ قوله: وقال أبو عبد الله الغضائري والحائري خلف فاطمة وأمامة فقط. أيضاً محرّف، والظاهر أنّ الأصل فيه: وقال أبو عبد الله الحارثي: خلف فاطمة وأمامة فقط. بأن يكون كلام الطبرسي، فيكون قال بنفسه : إنّ بناته عليه السلام: حكيمة وخديجة وأم كلثوم، ونقل عن المفيد أنه قال بناته: فاطمة وأمامة فقط.

وكيف كان: فذكرها الطبرسي والمناقب وروى إثبات المسعودي وإكمال الصدوق وغيبة الشيخ عنها مولد الحجة عليه السلام. وروى الكافي: تسمية من رآه عليه السلام عن موسى بن محمد بن القاسم بن حمزة بن الكاظم عليه السلام عن حكيمة ابنة التقي عمة أبيه أنها رأته ليلة مولده وبعده)[1].

وأمّا القول بعدم وثاقتها فقد تقدم أنّها من الصالحات كما في رواية عيون المعجزات المتقدمة، هذا مضافاً إلى أنّ علماء الرجال لم ينصوا على عدم وثاقتها كما تقدّم، بل يظهر منهم توثيقها.

ويقول الشيخ المجلسي: (ثم اعلم أنّ في القبة الشريفة قبراً منسوباً إلى النجيبة الكريمة العالمة الفاضلة التقية الرضية حكيمة بنت أبي جعفر الجواد (عليهما السلام) ولا أدري لم لم يتعرضوا لزيارتها مع ظهور فضلها وجلالتها، وأنها كانت مخصوصة بالأئمة عليهم السلام ومودعة أسرارهم، وكانت أم القائم عندها وكانت حاضرة عند ولادته عليه السلام، وكانت تراه حيناً بعد حين في

١- قاموس الرجال: ج١٢ ص٢٣٨.

حياة أبي محمد العسكري عليه السلام وكانت من السفراء والأبواب بعد وفاته، فينبغي زيارتها بما أجرى الله على اللسان مما يناسب فضلها وشأنها والله الموفق) [١].

ولو تترلنا جدلاً مع من يقول بكونها غير موثقة فأيضاً لا يخدش في النتيجة التي نريد الوصول إليها وهي إثبات ولادة الإمام المهدي عليه السلام إذ تقدم أنّ الأخبار التي جاءت في ولادته متواترة والخبر المتواتر لا تعتمد حجيته على وثاقة رواته بل ولا عدالتهم وفسقهم كما تقدم عن الألباني وغيره من أهل هذا الفن. فحجية التواتر إنما هي بتواتر نص الإخبارات أو مضمونها،كما في التواتر اللفظي والمعنوي.

وعليه فالقول بعدم ثبوت ولادة الإمام المهدي عليه السلام تذرعاً بعدم وجود السيدة الصالحة حكيمة أو عدم وثاقتها مخالف للقواعد التي يعتمدونها في قبول الخبر المتواتر.

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[٢].

٢ شهادة من رآه غير السيدة حكيمة:

روى الشيخ الصدوق وغيره عدداً من الناس الذين شهدوا برؤية الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام، وإليك بعض تلك الروايات:

١ حدثنا محمد بن علي ماجيلويه، وأحمد بن محمد بن يحيى العطار رضي الله عنهما، قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، قال: حدثنا الحسين بن علي النيسابوري، عن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن موسى بن جعفر (عليهما السلام)، عن السياري، قال: حدثتني نسيم ومارية، قالتا: (إنه لما سقط صاحب الزمان عليه السلام من بطن أمّه جاثياً على ركبتيه، رافعاً سبابتيه إلى السماء، ثم عطس فقال: **الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله، زعمت الظلمة أنّ حجة الله داحضة لو أذن لنا في الكلام لزال الشك.**

قال إبراهيم بن محمد بن عبد الله: وحدثتني نسيم خادم أبي محمد عليه السلام، قالت: قال لي صاحب الزمان عليه السلام وقد دخلت عليه بعد مولده بليلة، فعطست عنده فقال لي: **يرحمك الله.**

١- بحار الأنوار: ج٩٩ ص٧٩.
٢- النمل: ١٤.

قالت نسيم: ففرحت بذلك فقال لي عليه السلام: **ألا أبشرك في العطاس** ؟ فقلت: بلي [يا مولاي]، فقال: **هو أمان من الموت ثلاثة أيام**) [١].

٢ حدثنا محمد بن علي ماجيلويه رضي الله عنه، قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، قال: حدثني أبو علي الخيزراني، عن جارية له كان أهداها لأبي محمد عليه السلام فلما أغار جعفر الكذاب على الدار جاءته فارة من جعفر، فتزوج بها. قال أبو علي: (فحدثتني أنها حضرت ولادة السيد عليه السلام، وأنّ اسم أم السيد صقيل، وأنّ أبا محمد عليه السلام حدثها بما يجري على عياله، فسألته أن يدعو الله عزّ وجلّ لها أن يجعل منيتها قبله، فماتت في حياة أبي محمد عليه السلام وعلى قبرها لوح مكتوب عليه هذا قبر أم محمد.

قال أبو علي: وسمعت هذه الجارية تذكر أنه لما ولد السيد عليه السلام رأت لها نوراً ساطعاً قد ظهر منه وبلغ أفق السماء، ورأيت طيوراً بيضاء تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده، ثم تطير، فأخبرنا أبا محمد عليه السلام بذلك فضحك، ثم قال: **تلك ملائكة نزلت للتبرك بهذا المولود وهي أنصاره إذا خرج**) [٢].

٣ حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، قال: حدثنا محمد بن أحمد العلوي، عن أبي غانم الخادم، قال: (ولد لأبي محمد عليه السلام ولد فسماه محمداً، فعرضه على أصحابه يوم الثالث، وقال: **هذا صاحبكم من بعدي، وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتد إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً**) [٣].

٤ علي بن الحسن بن الفرج المؤذن رضي الله عنه، قال: حدثني محمد ابن الحسن الكرخي، قال: سمعت أبا هارون رجلاً من أصحابنا يقول: (رأيت صاحب الزمان عليه السلام وكان مولده يوم الجمعة سنة ست وخمسين ومائتين) [٤].

١- كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٣٠.
٢- كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٣١.
٣- كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٣١.
٤- كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٣١.

٥ محمد بن علي ماجيلويه رضي الله عنه، قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، قال: حدثنا الحسين بن علي النيسابوري، قال: حدثنا الحسن بن المنذر، عن حمزة بن أبي الفتح، قال: (جاءني يوماً فقال لي: البشارة، ولد البارحة في الدار مولود لأبي محمد عليه السلام وأمر بكتمانه، قلت: وما اسمه ؟ قال: سمي بمحمد وكنّي بجعفر) [١].

٦ حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق رضي الله عنه، قال: حدثنا الحسن بن علي بن زكريا بمدينة السلام، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن خليلان، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن غياث بن أسيد، قال: (ولد الخلف المهدي عليه السلام يوم الجمعة، وأمّه ريحانة، ويقال لها: نرجس، ويقال: صقيل، ويقال: سوسن، إلا أنه قيل: لسبب الحمل صقيل. وكان مولده عليه السلام لثمان ليال خلون من شعبان سنة ست وخمسين ومائتين، ووكيله عثمان بن سعيد، فلما مات عثمان أوصى إلى ابنه أبي جعفر محمد بن عثمان، وأوصى أبو جعفر إلى أبي القاسم الحسين بن روح، وأوصى أبو القاسم إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري رضي الله عنهم، قال: فلما حضرت السمري الوفاة سئل أن يوصي فقال: **لله أمر هو بالغه**، فالغيبة التامة هي التي وقعت بعد مضي السمري رضي الله عنه) [٢].

٧ حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي الله عنه، قال: حدثنا الحسن بن علي بن زكريا بمدينة السلام، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن خليلان، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن غياث بن أسيد، قال: (شهدت محمد بن عثمان العمري قدس الله روحه يقول: لما ولد الخلف المهدي عليه السلام سطع نور من فوق رأسه إلى أعنان السماء، ثم سقط لوجهه ساجدا لربه تعالى ذكره ثم رفع رأسه وهو يقول: **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام**. قال: وكان مولده يوم الجمعة) [٣].

١- كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٣٢.
٢- كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٣٢.
٣- كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٣٣.

ثالثاً: استنابته في فترة الغيبة الصغرى للنواب الأربعة

لقد جاء في الروايات الصحيحة إنّ الامام الثاني عشر من أهل البيت له غيبتان، والروايات في ذلك كثيرة وسأذكر روايتين رواهما الشيخ النعماني في كتاب الغيبة، وإلاّ فالروايات في ذلك كثيرة ومشهورة بل متواترة يقطع الإنسان بصدورها.

١ أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، قال: حدثنا علي بن الحسن التيملي، عن عمر بن عثمان، عن الحسن بن محبوب، عن إسحاق بن عمار الصيرفي، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: (**للقائم غيبتان: إحداهما طويلة، والأخرى قصيرة، فالأولى يعلم بمكانه فيها خاصة من شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه في دينه**) [١].

٢ أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا علي بن الحسن، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي نجران، عن علي بن مهزيار، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (**إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين**). وسمعته يقول: (**لا يقوم القائم ولأحد في عنقه بيعة**) [٢]، [٣].

قال السيد أحمد الحسن اليماني عليه السلام: (وحياة الإمام المهدي عليه السلام قبل الغيبة تقريباً بخمس سنوات قضاها مع والده الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فهو عليه السلام ولد يوم ١٥ شعبان سنة ٢٥٥ هـ على بعض الروايات، وبدأت غيبته مع أول يوم من إمامته، وهو يوم تسعة ربيع الأول ٢٦٠ هـ.

١- كتاب الغيبة - لمحمد بن إبراهيم النعماني: ص١٧٥.

٢- كتاب الغيبة - لمحمد بن إبراهيم النعماني: ص١٧٥.

٣- قال الشيخ النعماني بعد أن ذكر الأحاديث التي تذكر غيبتي الإمام عليه السلام قال: (هذه الأحاديث التي يذكر فيها أنّ للقائم عليه السلام غيبتين أحاديث قد صحت عندنا بحمد الله، وأوضح الله قول الأئمة (عليهم السلام) وأظهر برهان صدقهم فيها، فأمّا الغيبة الأولى فهي الغيبة التي كانت السفراء فيها بين الإمام عليه السلام وبين الخلق قياماً منصوبين ظاهرين موجودي الأشخاص والأعيان، يخرج على أيديهم غوامض العلم، وعويص الحكم، والأجوبة عن كل ما كان يسأل عنه من المعضلات والمشكلات، وهي الغيبة القصيرة التي انقضت أيامها وتصرمت مدتها. والغيبة الثانية هي التي ارتفع فيها أشخاص السفراء والوسائط للأمر الذي يريده الله تعالى، والتدبير الذي يمضيه في الخلق، ولوقوع التمحيص والامتحان والبلبلة والغربلة والتصفية على من يدعي هذا الأمر، كما قال الله عز وجل: (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب)، وهذا زمان ذلك قد حضر، جعلنا الله فيه من الثابتين على الحق، وممن لا يخرج في غربال الفتنة، فهذا معنى قولنا: "له غيبتان"، ونحن في الأخيرة نسأل الله أن يقرب فرج أوليائه منها، ويجعلنا في حيز خيرته، وجملة التابعين لصفوته، ومن خيار من ارتضاه وانتجبه لنصرة وليه وخليفته، فإنه ولي الإحسان، جواد منان) غيبة النعماني: ص ١٧٨.

وفي هذه السنوات الخمس لم يعرف ولادته و لم يره إلا الخلّص من الشيعة. ربما أربعون أو أقل أو أكثر، فهو عليه السلام محجوب عن الناس منذ ولادته للحفاظ على حياته، وهذا لأنّ أئمة الجور والضلال من العباسيين (لعنهم الله) كانوا يترقبون ولادته للقضاء عليه وقتله، كما كان فرعون (لعنه الله) يترقب ولادة موسى عليه السلام لقتله، وكما أراد الحاكم الروماني قتل عيسى عليه السلام عندما علم بولادته، وكانوا يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم العفنة، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الأمويون والعباسيون وأئمة الضلال والطواغيت الذين يحكمون الأمة الإسلامية.

ومن عظيم شأن هذا الإمام عليه السلام أنّه قد جاء في أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله في كتب السنة والشيعة، إنّ عيسى عليه السلام يصلي خلفه ويكون وزيراً له) [١].

وكان في فترة غيبته الصغرى له نواب أربعة بإجماع الشيعة الإثني عشرية، وعلى الرغم من كون نفس سفارتهم كافية في إثبات جلالتهم وفضيلتهم ووثاقتهم وسموا مقامهم إلا إننا مع ذلك سنذكر شيئاً من ترجمتهم وتوثيقهم، وهم على الترتيب:

أولاً: عثمان بن سعيد العمري: يكنى أبا عمرو السمّان ويقال له الزيّات الأسدي، وهو جليل القدر، له مترلة عظيمة عند الأئمة عليهم السلام، فحظي برضا الأئمة وتوثيقهم له عند توكيله من قبلهم عليهم السلام. والسمّان: قيل إنّه كان يتّجر بالسمن تغطية على الأمر؛ لأنّه كان ينقل الأسئلة من الشيعة ويوصلها للائمة عليهم السلام ويأتيهم بأجوبة الرسائل توجيهات أئمتهم عليهم السلام، فكان الشيعة يرسلون رسائلهم وغيرها عبر عثمان بن سعيد، وهو يخفيها في جراب السمن، ويحمله إلى أبي محمد عليه السلام تقية وخوفاً. وقد توكل للأئمة الهادي والعسكري والمهدي عليهم السلام، وقام بدور الواسطة بينهم وبين قواعدهم الشعبية الموالية. وقبره على ما جاء في غيبة الشيخ الطوسي بالجانب الغربي من مدينة السلام يعني بغداد وهو يزار ويقع في منطقة الميدان في أول الموضع المعروف بدرب جبلة ببغداد. ومدة سفارته للإمام المهدي عليه السلام حوالي خمس سنوات، توفي سنة ٢٦٦ هـ [٢].

١- العجل: ج٢ ص٥٦.
٢- راجع غيبة الشيخ الطوسي: ص٣٥٣ وما بعدها.

وقال الشيخ الطوسي أيضاً:

(عثمان بن سعيد العمري، يكني أبا عمرو السمان، ويقال له: الزيات خدمه عليه السلام وله إحدى عشره سنة، وله إليه عهد معروف) [١].

وقال أيضاً: (عثمان بن سعيد العمري الزيات، ويقال له: السمان، يكنى أبا عمرو، جليل القدر ثقة، وكيله عليه السلام) [٢].

وقال أيضاً: (محمد بن عثمان بن سعيد العمري، يكنى أبا جعفر، وأبوه يكنى أبا عمرو، جميعاً وكيلان من جهة صاحب الزمان عليه السلام، ولهما مترلة جليلة عند الطائفة) [٣].

ثانياً: محمد بن عثمان بن سعيد العمري: يكنّى أبا جعفر، له مترلة جليلة بعد أبيه عند الإمام المهدي عليه السلام. حيث استلم الشيخ العمري السفارة بعد وفاة أبيه وقام مقامه بناءً على كتاب التعزية والتولية الصادر عن الإمام المهدي عليه السلام. ومدة سفارته حوالي الخمسين سنة، توفي سنة ٣٠٥ هـ، وقبره عند والدته في شارع باب الكوفة في الموضع الذي كانت دوره ومنازله فيه [٤].

وقال الشيخ الطوسي أيضاً: (محمد بن عثمان بن سعيد العمري، يكنى أبا جعفر، وأبوه يكنى أبا عمرو، جميعاً وكيلان من جهة صاحب الزمان عليه السلام، ولهما مترلة جليلة عند الطائفة)[٥].

وروى الشيخ الكليني بسند صحيح: (محمد بن عبد الله ومحمد بن يحيى جميعاً، عن عبد الله بن جعفر الحميري، قال: اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو رحمه الله عند أحمد بن إسحاق فغمزني أحمد بن إسحاق أن أسأله عن الخلف فقلت له: يا أبا عمرو، إني أريد أن أسألك عن شيء وما أنا بشاك فيما أريد أن أسألك عنه، فإن اعتقادي وديني أنّ الأرض لا تخلو من حجة إلا إذا كان قبل يوم القيامة بأربعين يوماً، فإذا كان ذلك رفعت الحجة وأغلق باب التوبة فلم

١- رجال الطوسي: ص٣٨٩ برقم ٥٧٤١.
٢- رجال الطوسي: ص٤٠١ برقم ٥٨٧٧.
٣- رجال الطوسي: ص٤٤٧ برقم ٦٣٥١.
٤- راجع غيبة الطوسي: ص٣٦٦ .
٥- رجال الطوسي: ص٤٤٧ برقم ٦٣٥١.

يك ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، فأولئك أشرار من خلق الله ﷻ وهم الذين تقوم عليهم القيامة ولكني أحببت أن أزداد يقيناً وإن إبراهيم عليه السلام سأل ربه ﷻ أن يريه كيف يحيي الموتى، قال: أو لم تؤمن قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي، وقد أخبرني أبو علي أحمد بن إسحاق، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: سألته وقلت: من أعامل أو عمن آخذ، وقول من أقبل ؟ فقال له: **العمري ثقتي فما أدى إليك عني فعني يؤدي، وما قال لك عني فعني يقول، فاسمع له وأطع، فإنه الثقة المأمون**. وأخبرني أبو علي أنه سأل أبا محمد عليه السلام عن مثل ذلك، فقال له: **العمري وابنه ثقتان، فما أديا إليك عني فعني يؤديان، وما قالا لك فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان**. فهذا قول إمامين قد مضيا فيك. قال: فخر أبو عمرو ساجداً وبكى ثم قال: سل حاجتك، فقلت له: أنت رأيت الخلف من بعد أبي محمد عليه السلام ؟ فقال: إي والله ورقبته مثل ذا وأومأ بيده ، فقلت له: فبقيت واحدة، فقال لي: هات، قلت: فالاسم ؟ قال: محرّم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندي، فليس لي أن أحلل ولا أحرم، ولكن عنه عليه السلام، فإنّ الأمر عند السلطان، إنّ أبا محمد مضى و لم يخلف ولداً وقسم ميراثه وأخذه من لا حق له فيه وهو ذا، عياله يجولون ليس أحد يجسر أن يتعرف إليهم أو ينيلهم شيئاً، وإذا وقع الاسم وقع الطلب، فاتقوا الله وأمسكوا عن ذلك. قال الكليني رحمه الله: وحدثني شيخ من أصحابنا ذهب عني اسمه أنّ أبا عمرو سأل عن أحمد بن إسحاق عن مثل هذا فأجاب بمثل هذا) [١].

ثالثاً: أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي: توفي في شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمئة من الهجرة، وله قبر يزار في النوبختية في الدرب الذي كانت فيه دار على بن أحمد النوبختي النافذ إلى التل، منطقة سوق الشورجة بجانب الرصافة ببغداد، الحسين بن روح النوبخت، ومدة سفارته حوالي الواحد وعشرين عاماً، توفي ٣٢٦ هـ [٢].

ذكره الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة ضمن السفراء الممدوحين. فراجع المصدر المتقدم في الهامش.

١- الكافي: ج١ ص٣٢٩.
٢- راجع ترجمته في غيبة الشيخ الطوسي: ص٣٦٧ وما بعدها.

قال السيد الخوئي في معجم رجال الحديث: (الحسين بن روح: النوبختي أبو القاسم: هو أحد السفراء والنواب الخاصة ، للإمام الثاني عشر (عجل الله تعالى فرجه) وشهرة جلالته وعظمته أغنتنا عن الإطالة في شأنه . روى الشيخ الطوسي (قدس سره) في كتاب الغيبة في بيان الممدوحين من السفراء في زمان الغيبة، عند ذكر أبي القاسم الحسين بن روح بسنده عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب: أنّ أبا القاسم، الحسين بن روح رضي الله عنه مات في شعبان سنة ٣٢٦ ...) [١].

قال الشيخ علي النمازي الشاهرودي في مستدركات علم رجال الحديث: (الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي أبو القاسم سلام الله عليه: أحد النواب الأربعة والثالث منهم في زمن الغيبة الصغرى، شيخ جليل وثقة أمين نبيل عظيم القدر والمترلة وهو أجل من أن يصفه مثلي. أقامه أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد مقامه بأمر مولانا المهدي صلوات الله عليه ...) [٢].

رابعاً: علي بن محمد السمري: يكنّى بأبي الحسن، تولّى السفارة من حين وفاة أبي القاسم بن روح عام ٣٢٦ إلى أن لحق بالرفيق الأعلى عام ٣٢٩ في النصف من شعبان، فتكون مدّة سفارته ثلاثة أعوام، وقبره يزار في منطقة سوق السراي في جانب الرصافة ببغداد [٣].

عدّه الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة من السفراء الممدوحين. فراجع المصدر المتقدّم في الهامش.

قال الشيخ النمازي: (علي بن محمد السمري: نائب الحجة المنتظر صلوات الله عليه بعد أبي القاسم الحسين بن روح رضوان الله تعالى عليهما يكنى بأبي الحسن. وثاقته وجلالته أشهر من أن يذكر وأظهر من أن يحرّر، وهو كالشمس في رابعة النهار ...) [٤].

وانقطع هكذا نوع من السفارة بموت علي بن محمد السمري (رحمه الله)، ووقعت الغيبة التامة.

١- معجم رجال الحديث: ج٦ ص٢٥٧ برقم ٣٤٠٦.
٢- مستدركات علم رجال الحديث: ج٣ ص١٢٨ – ١٢٩ برقم ٤٣٤٩.
٣- راجع غيبة الطوسي: ص٣٩٣ وما بعدها.
٤- مستدركات علم رجال الحديث: ج٥ ص٤٥٠ برقم ١٠٣٩٠.

وفي فترة سفارتهم للإمام العسكري عليه السلام قد شاهدوه ونقلوا عنه أجوبة في وقائع كثيرة [١].

استخلاص مما تقدّم:

بعد عرض ما تقدّم من:

١ نص الإمام العسكري عليه السلام على ولادة ابنه محمد بن الحسن المهدي عليه السلام.

٢ شهادة علماء الأنساب السنة بذلك.

٣ شهادة بعض علماء أبناء السنة والجماعة بولادته ونسبه للعسكري عليه السلام.

٤ شهادة حكيمة وغيرها بولادة الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام.

٥ وجود السفراء الذين يشهدون بوجوده وتلقوا منه وصايا وتعليمات ونصائح وإرشادات ورسائل وإجابات وتوجيهات وأدعية وصلوات وأحاديث وروايات وكلمات مشهورة.

٦ شهادة من شاهده في الغيبة الكبرى وهم يعدون بالمئات أن لم نقل بالآلاف.

فهل يمكن لعاقل أن يكذّب كل ما تقدّم ؟!

بطبيعة الحال لا يوجد عند المنكر إلا التشكيك والاعتراض بإشكالات، والإشكال لا ينقض الدليل، كما تقدم.

فجميع ما قاله ابن تيمية بباقي كلامه الآتي من عدم تعقلات لا تنقض ما تقدم، وعلى الرغم من ذلك سنجيب عليها إن شاء الله لكي يتضح الجهل والسذاجة عند شيخ السلفية.

١- وهذا أيضاً يضم لمن شاهدوه في الغيبة الصغرى، ثم هل يمكن لعاقل أن يقول أن جميع قصة السفارة كذب ؟! ثم مَن الذي لفقها ؟ وما هي المصلحة المرجوة من ذلك ؟ وكيف جاءت بهكذا ترتيب وتواريخ مضبوطة على الرغم من كونها كذب ؟! وكيف ذكرتها كتب التراجم؟!
هذه تساؤلات ينبغي أن يجيب عنها من ينكر وجود السفراء الأربعة بموضوعية تامة وتجرد عن ما عشعش في ذهنه من الشبهات والترهات.
أمّا التذرع بعدم ذكرهم في كتب أبناء السنة والجماعة فهذا في غاية الوهن والضعف بعد أن عرفنا أنهم لا يروون عن أهل البيت (عليهم السلام) وانفصلوا من الأزمان الأولى عن خلفاء النبي (صلى الله عليه وآله) وعترته، فهذا أمر مردود عليهم، ومن هنا سيحال النقاش لإثبات خلفاء النبي (صلى الله عليه وآله) فهل هم العترة أم غيرهم.

شبهات يتعلل بها البعض:

الأولى:

لقد تمسك البعض بقول النوبختي في كتابه فرق الشيعة عند ترجمته للإمام الحسن العسكري عليه السلام قائلاً: (ولد الحسن بن علي عليه السلام في شهر ربيع الآخر سنة ٢٣٢هـ وتوفي في سرّ من رأى (سامراء) يوم الجمعة لثمان ليالٍ خلون من شهر ربيع الأول سنة ٢٦٠هـ ودفن في داره في البيت الذي دفن فيه أبوه عليه السلام وهو أي الإمام الحسن العسكري عليه السلام ابن ٢٨ سنة وصلى عليه أبو عيسى بن المتوكل، وكانت إمامته خمس سنوات وثمانية أشهر وخمسة أيام، وتوفي و لم ير له أثر و لم يعرف له ولد ظاهر) [1].

فتشبث البعض بقوله: (وتوفي و لم ير له أثر و لم يعرف له ولد ظاهر) لنفي ولادة الإمام محمد بن الحسن عليه السلام بدعوى أنّ النوبختي يصرّح بعدم وجود ولد للإمام العسكري عليه السلام.

ولا أعرف كيف يمكن لمنصف أن يستفيد من هذه العبارة نفي ولادة الإمام محمد بن الحسن عليه السلام، والحال أنه لم يقل: (لم يولد له ولد)، بل قال: (لم ير أثر، و لم يُعرف له ولد)، وهذا لا يعني أنّ الإمام العسكري عليه السلام ليس له ولد بالواقع؛ لما تقدّم من كون عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود.

هذا، مضافاً إلى أنّ النوبختي يصف الولد بكونه ظاهراً فيقول: (و لم يعرف له ولد ظاهر)، وكلامه صحيح فليس للإمام العسكري عليه السلام ولد ظاهر ومعروف لجميع الناس، نعم له ولد غائب؛ لكون ولادة الإمام محمد بن الحسن عليه السلام أحيطت بالسرية والكتمان، لكون بنو العباس حاولوا جاهدين قتله عليه السلام، وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام، حيث بيّن وجود سنّة في الإمام الثاني عشر من موسى عليه السلام وهو خفاء المولد خوفاً عليه من فراعنه زمانه.

يقول عليه السلام: (... **إنّ الله تبارك وتعالى أدار للقائم منا ثلاثة أدارها في ثلاثة من الرسل عليهم السلام قدر مولده تقدير مولد موسى عليه السلام،...** قال عليه السلام: **أمّا مولد موسى عليه السلام فإنّ فرعون لما وقف على أن زوال ملكه على يده أمر بإحضار الكهنة فدلوه على نسبه وأنه يكون من**

١- فرق الشيعة: ص١٠٥.

بني إسرائيل، ولم يزل يأمر أصحابه بشق بطون الحوامل من نساء بني إسرائيل حتى قتل في طلبه نيفاً وعشرين ألف مولود، وتعذّر عليه الوصول إلى قتل موسى عليه السلام بحفظ الله تبارك وتعالى إياه، وكذلك بنو أمية وبنو العباس لما وقفوا على أن زوال ملكهم وملك الأمراء والجبابرة منهم على يد القائم منا ناصبونا العداوة، ووضعوا سيوفهم في قتل آل الرسول صلى الله عليه وآله وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلى قتل القائم، ويأبى الله عز وجل أن يكشف أمره لواحد من الظلمة إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون) [١].

ويقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (**إنّ القائم منا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه**) [٢].

ويقول الإمام السجاد عليه السلام: (**القائم منا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا: لم يولد بعد، ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة**) [٣].

ويقول الإمام الباقر عليه السلام لعبد الله بن عطاء: (**يا عبد الله بن عطاء، قد أمكنت الحشو من أذنيك، والله ما أنا بصاحبكم**. قلت: فمن صاحبنا ؟ قال: **انظروا من تخفى على الناس ولادته فهو صاحبكم**) [٤].

ويقول الإمام الرضا عليه السلام: (**حتى يبعث الله عز وجل لهذا الأمر رجلاً خفي المولد والمنشأ غير خفي في نسبه**) [٥].

فكانت السلطات العباسية تترقب ميلاده كما كان فرعون يترقب ولادة موسى عليه السلام؛ فكانت تراقب نساء الإمام العسكري عليه السلام، مما جعل الإمام العسكري عليه السلام يكتم ولادته بداعي الحفاظ عليه كما يخبر بولادته الخواص من أصحابه وثقاته لكي يقيم لهم الحجة ويبين لهم إمامهم من بعده، فعرضه على أربعين شخصاً من أصحابه وخاصته، منهم: محمد بن عثمان العمري، ومعاوية بن حكيم، ومحمد بن أيوب، وغيرهم، وقال لهم: (**هذا إمامكم من بعدي**

١- كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٥٤.
٢- كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٠٣.
٣- كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٢٢.
٤- كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٢٥.
٥- كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٧٠.

وخليفتي عليكم، أطيعوه فلا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، أما إنكم لن تروه بعد يومكم هذا. فغيبه و لم يظهره، فلذلك لم يفتر السلطان عن طلبه) [١].

بل قد صرح أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري بكون المعروف عند السلطان بأنّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام مضى و لم يخلف ولداً كل ذلك كان بداعي كتمانه والحفظ على سلامته، قال: (فإنّ الأمر عند السلطان، أنّ أبا محمد مضى و لم يخلف ولداً وقسم ميراثه وأخذه من لا حق له فيه وهوذا، عياله يجولون ليس أحد يجسر أن يتعرّف إليهم أو ينيلهم شيئاً، وإذا وقع الاسم وقع الطلب، فاتقوا الله وأمسكوا عن ذلك) [٢].

وربما يقول بعض الجهلة: لو كان محمد بن الحسن عليه السلام إماماً معصوماً ومتصلاً بالسماء فلماذا هذا الإخفاء فهل الله سبحانه عاجزاً عن حفظه ؟

فهذا القول وإن كان ساذجاً إلا أننا نجيب عليه، فأقول: هل إنّ الله سبحانه عاجز عن حفظ نبيه موسى عليه السلام، فلماذا ألقته أمّه في اليم (البحر)، ﴿**أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾ [٣].

فلو كان صاحب هذا القول في زمن موسى عليه السلام هل يتعقل هذا الموقف ؟ ثم إن لم يتعقل هل يخدش بكون موسى عليه السلام نبياً مرسلاً من الله سبحانه ؟!

وبعد هذا لنعود لعبارة النوبختي، فعبارته نافية للظهور لا نافية للولادة، أي: ليس للإمام العسكري عليه السلام ولد ظاهر مشاهد للجميع، وهذا ما نصّت عليه الروايات المتقدمة.

وبعد هذا لو تترلنا عن كل ما تقدّم وافترضنا جهل النوبختي بوجود ابن للإمام الحسن العسكري عليه السلام هل يعني أنّه غير مولود ؟!

بطبيعة الحال لا يثبت ذلك، نعم أقصى ما يقال أنه لم يثبت عنده، وعدم ثبوته عنده لا يعني أنه لم يولد في الواقع.

١- كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٤.
٢- الكافي: ج١ ص٣٢٩.
٣- طه: ٣٩.

وعلاوة على ذلك كله لننظر إلى ما يقوله النوبختي نفسه، يقول: (قالت الفرقة الثانية عشرة، وهم الإمامية ليس القول كما قالت هؤلاء كلّهم الفرق الأخرى بل لله ﷻ في الأرض حجّة من ولد الحسن بن علي عليه السلام، وأمر الله تعالى بالغ وهو وصي لأبيه، على المنهاج الأول والسنن الماضية، ولا تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين (عليهما السلام) ولا يجوز ذلك، ولا تكون إلا في عقب الحسن بن علي عليه السلام إلى أن ينقضي الخلق، متّصلاً ذلك ما اتّصلت أمور الله سبحانه وتعالى، ولو كان في الأرض رجلان لكان أحدهما الحجة، ولو مات أحدهما لكان الآخر الحجة ما دام أمر الله ونهيه قائمين في خلقه ولا يجوز أن تكون الإمامة في عقب من لم تثبت له إمامة (يقصد جعفر)، و لم تلتزم العباد به حجة ممن مات في حياة أبيه أي ممن قال بإمامة من توفي قبل الإمام الحسن عليه السلام ولا في ولده، ولو جاز ذلك صلح قول أصحاب إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام ومذهبهم، ولثبتت إمامة محمد بن جعفر عليه السلام إذن، وكان من قال بها محقاً بعد مضي جعفر بن محمد عليه السلام.

وهذا الذي ذكرناه هو المأثور عن الصادقين، الذي لا تدافع له بين هذه العصابة ولا شك فيه لصحة مخرجه وقوة أسبابه وجودة إسناده، ولا يجوز أن تخلو الأرض من حجة ولو خلت ساعة لساخت الأرض ومن عليها، ولا يجوز شيء من مقالات هذه الفرق كلها فنحن مستسلمون بالماضي، وإمامته، مقرّون بوفاته وهذا ثابت ومعترفون بأنّ له خلفاً قائماً من صلبه، وأنّ خلفه هو الإمام من بعده حتّى يظهر ويعلن أمره ما ظهر وعلن أمر من مضى من آبائه ويأذن الله بذلك، إذ الأمر لله تعالى يفعل ما يشاء ويأمر بما يريد من ظهوره وخفائه، كما كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: "**اللهم إنّك لا تخلي الأرض من حجة لك على الخلق ظاهراً معروفاً أو خائفاً مستوراً أو مغموراً كي لا تبطل حجتك وبيناتك**"، وبذلك أمرنا جاءت الأخبار الصحيحة عن الأئمة الماضين عليهم السلام؛ لأنه ليس للعباد أن يبحثوا عن أمور الله تعالى ويقضوا بلا علم لهم ويطلبوا آثار ما ستر عنهم، ولا يجوز ذكر اسمه ولا السؤال عن مكانه حتى يأمر بذلك هو عليه السلام إذ هو عليه السلام خائف مغمور مستور بستر الله سبحانه وليس علينا البحث عن أمره، بل البحث عن ذلك وطلبه محرم ولا يحل ولا يجوز لأنّ في إظهار ما ستر عنا

وكشفه إباحة دمه ودمائنا، وفي ستر ذلك والسكوت عنه حقنهما وصيانتهما ولا يجوز لنا ولا لأحد أن يختار إماماً برأي واختيار .. إلخ)[١].

فهذا هو كلام النوبختي، وهو واضح باعتقاده بولادة الإمام الثاني عشر عليه السلام وغيبته، وهذا يؤيد ما قلناه من تفسير كلمة (ولد ظاهر)، بمعنى ليس له ولد ظاهر مشاهد لعموم الناس.

وبعد هذا ماذا نسمي من ينسب للنوبختي القول بأنّ الإمام العسكري عليه السلام ليس له ولد ؟ لا محيص من كونه كاذباً أو مشتبهاً إن أحسنّا الظن به.

الثانية: الاختلاف دليل العدم

ربما يقول البعض بعدم ولادة الإمام المهدي عليه السلام معللاً ذلك بوجود الاختلاف فيه، فلو كان مولوداً لما اختلف في ولادته، فالاختلاف دليل العدم.

وهذا من أعجب ما يقال؛ إذ كثير من الأمور مختلف فيها إلا أنّ العقلاء لا يلتزمون بعدم وجودها، بل القرآن يصرّح لنا أنّ الاختلاف في شيء لا يعني عدم وجوده.

قال سبحانه في عرضه لقصة أصحاب الكهف: ﴿**سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاء ظَاهِراً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً**﴾[٢]. فهل الاختلاف في عددهم يوجب عدم وجودهم ؟!

وكذلك نجد البعض ينفي وجود الإمام محمد بن الحسن عليه السلام بسبب الاختلاف في اسم أمه الطاهرة، كنرجس وصيقل وغيرهما.

أقول: تارة نقول بتعدد الأسماء، وأخرى باختلاف الأسماء، فالنبي صلى الله عليه وآله له عدّة أسماء وأبرزها أحمد ومحمد صلى الله عليه وآله، وكذلك السيدة الزهراء لها أسماء متعددة، فهل يعني ذلك أنّ الحسنين (عليهما السلام) ليسا ابنيها وليست فاطمة أمهم بسبب ذلك ؟!

١- فرق الشيعة: ص١١٦.
٢- الكهف: ٢٢.

فكذلك يقال بالنسبة لأم الإمام المهدي عليه السلام، فتعدد الأسماء ظاهرة موجودة في التاريخ.

وإن قيل: إنّ اسم أم الإمام المهدي عليه السلام مختلف فيها لا من قبيل تعدد الأسماء لمسمى واحد، فأحدهم يقول نرجس، وآخر يقول ليس نرجس بل صقيل، وهكذا.

أقول: هذا من باب تعدد الأسماء لا من قبيل الاختلاف في المسمى، فأمّه الطاهرة معلومة إلا أن لها أسماء متعددة، ولو سلمنا اختلاف أسمائها إلا أن هذا لا يقتضي عدم وجودها في التاريخ مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ للجواري أسماء متعددة، فتعدد الأسماء لا ربط له بوجودها وعدمه. وربما تعددّت أسمائها بسبب صفاتها من الطهارة والعفة والتراهة وغيرها.

ثالثاً: إنكار عمه جعفر لولادته دليل على عدمها

لقد أثار البعض هذه الشبهة قائلاً لو كان محمد بن الحسن عليه السلام مولوداً لما جهل ذلك جعفر ابن الإمام الهادي عليه السلام وأخو الإمام العسكري عليه السلام، فهو عمه فكيف يجهل عمه ولادته ؟!

أقول: إنّ هذا مجرد عدم تعقل ليس إلا، ومع وجود الدليل على ولادته عليه السلام يرتفع ذلك، والدليل قائم على ولادته عليه السلام، كما تقدّم.

ومضافاً لذلك، أقول: هل مجرد إنكار عم النبي صلى الله عليه وآله لنبوته ينفي كونه نبياً مرسلاً ؟! بطبيعة الحال لا ينفي ذلك ما دام الدليل قائم على نبوته، فهنا يجري نفس هذا التقريب بعينه، فما دام الدليل قائم على إثبات ولادة الإمام محمد بن الحسن عليه السلام فإنكار جعفر لا قيمة له.

ثم إننا عرفنا قبل قليل بأنّ الإمام العسكري عليه السلام قد أخفى ولادة ابنه محمد المهدي عليه السلام إلا عن الخواص والثقات وجعفر ليس منهم، وهذا واضح من تأريخه، فمواقفه من الإمامة واضحة، فمن الطبيعي أن تخفى ولادة الإمام المهدي عليه السلام عن أمثاله.

فجعفر ابن الإمام الهادي عليه السلام كان طامعاً في الإمامة، وقد استخدم عدّة وسائل لأجل الوصول إليها، منها:

١ الوشاية بالإمام العسكري عليه السلام لدى السلطات العباسية.

٢ طلب مترلة أخيه العسكري عليه السلام من المعتمد العباسي قائلاً: (يا أمير المؤمنين، تجعل لي مرتبة أخي الحسن ومترلته. فقال الخليفة: اعلم إنّ مترلة أخيك لم تكن بنا إنما كانت بالله عزّ وجلّ ونحن كنا نجتهد في حط مترلته والوضع منه، وكان الله عزّ وجلّ يأبى إلا أن يزيده كل يوم رفعة لما كان فيه من الصيانة وحسن السمت والعلم والعبادة، فإن كنت عند شيعة أخيك بمترلته فلا حاجة بك إلينا، وإن لم تكن عندهم بمترلته و لم يكن فيك ما كان في أخيك لم نغن عنك في ذلك شيئاً) [1].

٣ استيلاؤه على تركة الإمام العسكري عليه السلام مدعياً عدم وجود الوارث غيره.

فمن الطبيعي أن تخفى على هكذا شخص ولادة الإمام المهدي عليه السلام، أو أنه يتعمد الإنكار رغم معرفته، فلا يكون لإنكاره دور في النفي.

رابعاً: شبهة الوفاة بعد الولادة

ربما قال البعض بكون الإمام محمد بن الحسن عليه السلام إلا أنه في الوقت نفسه يدعي وفاته، ولا أعلم من أين جاء هذا الادعاء الوفاة بعد الولادة ، وربما جاء ذلك من عدم تعقل بقائه لهذه الفترة الطويلة، وهذا سيأتي الجواب عنه إن شاء الله.

ولكن ما أريد بيانه هنا أنّ القول بوفاته بعد الولادة يحتاج إلى دليل يقيني؛ وهو مفقود في المقام، وبهذا سيكون ادعاء الوفاة مجرد احتمال وهو مدفوع بالأدلة التي نصت على ولادته وغيبته الطويلة واختفائه عن الناس، ولكي تثبت الوفاة لا بد أن تكون بدليل يقيني ثابت أمّا مجرد احتمال الوفاة لا ينقض الدليل الثابت.

ولقد جاء في روايات أهل البيت عليهم السلام ما يصلح لدفع هذه الشبهة، حيث إنهم عليهم السلام أشاروا إلى هذه الشبهة وما تحتمله الناس حتى يقولون مات أو هلك.

١ـ كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٧٩.

عن المفضل ابن عمر الجعفي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: (**إياكم والتنويه، أما والله ليغيبن إمامكم سنيناً من دهركم، ولتمحصن حتى يقال: مات أو هلك، بأي واد سلك،..**) [١].

وعن أبي الجارود زياد بن المنذر، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام)، قال: قال لي: (**يا أبا الجارود، إذا دارت الفلك، وقال الناس: مات القائم أو هلك، بأي واد سلك، وقال الطالب: أنى يكون ذلك وقد بليت عظامه، فعند ذلك فارجوه، فإذا سمعتم به فأتوه ولو حبواً على الثلج**) [٢].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: (**وأمّا غيبة عيسى عليه السلام فإنّ اليهود والنصارى اتفقت على أنه قتل فكذبهم الله عز وجل بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾**[٣]. **كذلك غيبة القائم فإنّ الأمة ستنكرها لطولها، فمن قائل يقول: إنه لم يولد، وقائل يفتري بقوله: إنه ولد ومات،....**) [٤].

فأهل البيت عليهم السلام وأدوا هذه الشبهة في مهدها وبينوا عبر نافذة الغيب أنّ الناس ستقولها وأكدوا بطلانها.

عن حازم بن حبيب، قال: (دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقلت له: أصلحك الله، إنّ أبوي هلكا و لم يحجا، وإنّ الله قد رزق وأحسن، فما تقول في الحج عنهما ؟ فقال: **افعل فإنه يبرد لهما**، ثم قال لي: **يا حازم، إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين يظهر في الثانية، فمن جاءك يقول: إنه نفض يده من تراب قبره فلا تصدقه**) [٥].

* * *

١- الكافي: ج١ ص٣٣٦، الإمامة والتبصرة: ص١٢٥، كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٤٧.
٢- كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٢٦، الغيبة - لمحمد بن إبراهيم النعماني: ص ١٥٦.
٣- النساء:١٥٧.
٤- الغيبة للطوسي: ص ١٧٠.
٥- كتاب الغيبة - لمحمد بن إبراهيم النعماني: ص ١٧٦.

الوقفة الثانية:

قال ابن تيمية: (والإمامية الذين يزعمون أنه كان له ولد يدعون أنه دخل السرداب بسامراء وهو صغير منهم من قال عمرة سنتان، ومنهم من قال ثلاث ومنهم من قال خمس سنين، وهذا لو كان موجوداً معلوماً لكان الواجب في حكم الله الثابت بنص القران والسنة والإجماع أن يكون محضوناً عند من يحضنه في بدنه كأمه وأم أمّه ونحوهما من أهل الحضانة، وأن يكون ماله عند من يحفظه إمّا وصي أبيه إن كان له وصي وإمّا غير الوصي إمّا قريب وإمّا نائب لدى السلطان فإنه يتيم لموت أبيه والله تعالى يقول: ﴿**وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَستُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ**﴾، فهذا لا يجوز تسليم ماله إليه حتى يبلغ النكاح ويؤنس منه الرشد كما ذكر الله تعالى ذلك في كتابه فكيف يكون من يستحق الحجر عليه في بدنه وماله إماماً لجميع المسلمين معصوماً لا يكون أحد مؤمناً إلاّ بالإيمان به).

أقول: قوله: (والإمامية الذين يزعمون أنه كان له ولد) قد اتضح الجواب عنه، فهو ليس زعم الإمامية وإنما أثبته الكثير من علماء الأنساب السنة وعلمائهم صرحوا بذلك أيضاً، فقوله (يزعمون) يريد أن يبين أنّ ولادة الإمام الثاني عشر عليه السلام مجرد زعم من قبل الشيعة ليوحي للقارئ بأنّه مما انفرد به الشيعة الإمامية، والحق إنه ليس كذلك كما تقدّم.

ثم تعرّض شيخ السلفية ابن تيمية لشبهتين في هذا المقطع من كلامه.

الشبهة الأولى: شبهة السرداب

السرداب بكسر السين بناء تحت الأرض يلجأ إليه من حرّ الصيف، وكانت أكثر البيوت والمساكن ولا زالت لحد الآن في المناطق الحارة وغيرها مزودة بالسراديب.

لقد سمعنا الكثير يردد القول بكون الإمام الثاني عشر مختفياً في السرداب طيلة هذه السنين، كما يردد الببغاء من دون أن يعي حقيقة الأمر، فلم يفكر بعقله لحظة واحدة، وإلا كيف لعاقل أن يعقل ذلك، بل نجد بعضهم يقول:

ما آن للسرداب أن يلد الذي ... صيرتموه بزعمكم إنساناً

فعلى عقولكم العفا لأنكـ ـم ثلثتم العنقاء والغيلانا [١].

وليس هذا إلا من قبيل الأباطيل الأخرى التي لطالما شنعوا بها على مذهب أهل البيت عليهم السلام.

فراحوا يتهمون الشيعة بذلك القول، وبقيت هذه الشبهة تنتقل من جاهل إلى حاقد إلى كاذب وهكذا. كل ذلك من أجل تشويه الصورة الحقيقية المشرقة لعقيدة المهدي المنتظر عليه السلام.

ودائماً نجد المشوشين يقعون في سقطات بسبب الجهل الذي عندهم وغياب حقيقة الأمر، فلذا اختلفوا في تعيين مكان السرداب إلى قولين بل أكثر، وسأذكر قولين:

الأول: السرداب في (بابل).

فقد قال ابن خلدون: (ويزعمون أي الشيعة أن الثاني عشر من أئمتهم هو محمد بن الحسن العسكري، ويلقبونه بالمهدي دخل في سرداب بدارهم في (الحلة)، وتغيب حين اعتقل مع أمه، وغاب هناك، وهو يخرج آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً، وهم يشيرون بذلك إلى الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي، وهم الآن ينتظرونه، ويسمونه المنتظر لذلك، ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب، وقد قدموا مركباً، فيهتفون باسمه، ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم، ثم ينفضون، ويرجون الأمر إلى الليلة الآتية، وهم على ذلك العهد ..) [٢].

ولا يخفى على المنصف ما في كلام ابن خلدون من الأكاذيب !! فقوله: إنّ الإمام المنتظر عليه السلام قد اعتقل مع أمه في (الحلة)، وغاب فيها كذب مفضوح؛ لأنّ:

١ إنّ السيدة نرجس والدة الإمام محمد بن الحسن عليه السلام وإن اختلف في كونها توفيت قبل شهادة الإمام العسكري عليه السلام أم بعده عليه السلام بسنتين، إلا أنّ المقطوع به أنّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام كانت داره في سامراء ودفن في سامراء لا في الحلة، فكيف يقول بأنّ دارهم في الحلة ؟! ثم كيف جاءت أم الإمام واختفت في سرداب الحلة، فهل يوجد نص يبين لنا فيه

١- المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة - لعبد العليم البستوي: ص٨٢.
٢- تاريخ ابن خلدون: ج١ ص١٩٩.

ابن خلدون بأنّ أم الإمام محمد بن الحسن عليه السلام انتقلت به إلى الحلة؛ إذ الحلة تبعد عن سامراء قرابة (٣٠٠ كيلو متر) ؟!

هذا مضافاً إلى أنّ قوله هذا مخالف لما عليه جمهور أهل السنة الذين ستأتي أقوالهم بكون السرداب في سامراء وليس في الحلة.

٢ لم يذكر أحد من المؤرخين الشيعة أو غيرهم أنّ الإمام محمد بن الحسن المنتظر عليه السلام قد اعتقل مع أمّه لا في الحلة ولا في غيرها، فما ذكره ابن خلدون محض افتراء وتشويه.

٣ هل شاهد ابن خلدون أو نُقل له نقلاً صحيحاً لا يقبل الكذب بأنّ الشيعة يقفون بباب السرداب الواقع في (الحلة)، ويقدمون مركباً للإمام محمد بن الحسن عليه السلام ويهتفون باسمه، ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ؟!

كل هذه الأكاذيب لم تسمع بها الشيعة وهي بريئة منها براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام، وقد افتعلها عليهم ابن خلدون وأشباهه الذين تجردوا عن كل خلق قويم، وغيب الحقد عنهم الإنصاف وارتطموا في الإثم.

الثاني: السرداب في (سامراء).

ذكر جمهور من مؤرخي السنة أنّ الشيعة تذهب إلى أنّ الإمام المنتظر عليه السلام قد غاب في السرداب الكائن في داره في (سامراء)، ومن القائلين بذلك:

١ السويدي: قال السويدي: (وتزعم الشيعة أنّه غاب في السرداب "بسر من رأى" والحرس عليه سنة "٢٦٢ هـ") [١].

٢ ابن تيمية: زعم ابن تيمية أنّ الشيعة تعتقد أنّ الإمام عليه السلام باقٍ في السرداب الواقع في (سامراء) وينتظرون خروجه منه، وقد تقدّم كلامه قبل قليل.

٣ ابن حجر الهيتمي: ذكر ذلك ابن حجر، ونسبه إلى الشيعة على رأي ابن خلكان ونقل عنه أنّ الشيعة ترى أنه أي الإمام المهدي الإمام المنتظر، وهو صاحب السرداب عندهم،

١ـ سبائك الذهب: ص٧٨، نقلاً عن كتاب حياة الإمام المهدي عليه السلام ـ للقرشي: ص١١٧.

وهم ينتظرون خروجه آخر الزمان من السرداب ؛ . (سر من رأى) دخله في دار أبيه، وأمّه تنظر إليه سنة (٢٦٥ هـ)، وقد أضاف بعد ذلك قائلاً: ولقد أحسن القائل:

ما آن للسرداب أن يلد الذي صيرتموه بجهلكم إنسانا

فعلى عقولكم العفا إذ أنكم ثلثتم العنقاء والغيلانا [١].

٤ عبد الله القصيمي: يقول: (وإنّ أغبى الأغبياء، وأجمد الجامدين هم الذين غيبوا إمامهم في السرداب، وغيبوا معه قرآنهم ومصحفهم، ومن يذهبون كل ليلة بخيولهم وحميرهم إلى ذلك السرداب الذي غيبوا فيه إمامهم ينتظرونه وينادونه ليخرج إليهم، ولا يزال عندهم ذلك منذ أكثر من ألف عام) [٢].

وقد علق على فرية القصيمي الشيخ الأميني في كتابيه الغدير والصراع بين الوثنية والإسلام قائلاً: (وفرية السرداب أشنع وإن سبقه إليها غيره من مؤلفي أهل السنة لكنه زاد في الطمور نغمات بضم الحمير إلى الخيول وادعائه اطراد العادة في كل ليلة واتصالها منذ أكثر من ألف عام، والشيعة لا ترى أنّ غيبة الإمام في السرداب، ولا هم غيبوه فيه ولا إنه يظهر منه،....) [٣].

وبعد هذا لننظر في الموضوع بإنصاف:

إنّ السرداب الموجود في سامراء يكون في جوار مرقد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري (عليهما السلام)، وعليه شباك أثري وضعه عليه الخليفة العباسي الناصر لدين الله، وقد حضي هذا المكان الشريف بهالة من الاحترام بين أوساط الشيعة وذلك لكونه كان مصلى لأئمة ثلاثة من أئمة أهل البيت: الإمام الهادي، وابنه الحسن العسكري، وابنه الحجة المنتظر عليهم السلام.

يقول الشاعر:

١- الصواعق المحرقة: ص١٠٠، نقلاً عن كتاب حياة الإمام المهدي عليه السلام - للقرشي: ص١١٨.
٢- الصراع بين الوثنية والإسلام: ص٦٢.
٣- الغدير: ج٣ ص٣٠٨، الصراع بين الوثنية والإسلام: ص٦٢.

مررت على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا [١].

فهكذا يقال بالنسبة لاحترام هذا المكان المقدس المبارك.

يقول الشيخ الأميني: (و لم يقل أحد في السرداب: إنه مغيب ذلك النور، وإنما هو سرداب دار الأئمة بسامراء، وإن من المطرد إيجاد السراديب في الدور وقاية من قايظ الحر، وإنما اكتسب هذا السرداب بخصوصه الشرف الباذخ لانتسابه إلى أئمة الدين، وإنه كان مبوء لثلاثة منهم كبقية مساكن هذه الدار المباركة، وهذا هو الشأن في بيوت الأئمة عليهم السلام ومشرفهم النبي الأعظم في أي حاضرة كانت، فقد أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه،...) [٢].

وقال السيد محسن الأمين: (السرداب هو سرداب الدار التي سكنها ثلاثة من أئمة أهل البيت الطاهر وهم: الإمام علي بن محمد الهادي وولده الإمام الحسن بن علي العسكري وولده الإمام محمد المهدي عليه السلام، كما سكنوا أيضاً في ذلك السرداب وتشرف بسكناهم فيه ولذلك تتبرك الشيعة وغيرها به وتصلي لربها فيه وتدعوه لبركته بسكنى آل رسول الله صلى الله عليه وآله فيه وتشريفهم له. وليس في الشيعة من يعتقد أنّ المهدي موجود في السرداب أو غائب فيه كما يرميهم به من يريد التشنيع وينسب إليهم في ذلك أموراً لا حقيقة لها مثل أنهم يجتمعون كل جمعة على باب السرداب بالسيوف والخيول وينادون اخرج إلينا يا مولانا، فإنّ هذا كذب وافتراء حتى أن بعض من ذكر ذلك قال إنه بالحلة، مع أنّ السرداب في سامراء لا في الحلة، وبالجملة فليس للسرداب مزية عند الشيعة إلاّ تشرفه بسكنى ثلاثة من أئمة أهل البيت عليهم السلام فيه وهذا الأمر لا يختص بالشيعة في تبركهم بالأمكنة الشريفة فليتق الله المرجفون) [٣].

و لم ترد رواية من طرق الشيعة تبين بأنّ الإمام الثاني عشر عليه السلام مختفياً في السرداب ويظهر منه أبداً.

١- المواسم والمراسم: ص٩٣.
٢- الغدير: ج٣ ص٣٠٨، الصراع بين الوثنية والإسلام: ص٦٢.
٣- أعيان الشيعة: ج٢ ص٥٠٧.

فهذه كتب الشيعة المؤلفة منذ القديم إلى هذا الزمان ليس فيها لهذا البهتان أثر في كتاب واحد من كتبهم، كالكليني، والصدوق، والنعماني، والمفيد، والطوسي، والسيدين المرتضى والرضي، وغيرهم.

وكذلك لم يقل أحد من علماء الشيعة ومؤرخيهم أن الإمام المنتظر عليه السلام قد غاب في السرداب، سواء أكان السرداب في (سامراء) أم في (الحلة) أم في (بغداد).

١ يقول المحدث النوري في كشف الأستار: (نحن كلما راجعنا وتفحصنا لم نجد لما ذكروه أثراً، بل ليس في الأحاديث ذكر للسرداب أصلاً ..) [١].

٢ قال السيد صدر الدين: (ما نسبه إلينا من غيابه في السرداب كثير من خواص أهل السنة، فلا أعرف له مدركاً، و لم أجد له مستنداً) [٢].

٣ قال المحقق الأربلي: (والذين يقولون بوجوده لا يقولون: إنه في سرداب، بل يقولون: إنه موجود يحل ويرتحل، ويطوف في الأرض ..) [٣].

٤ المحقق الشيخ الأميني، وتقدم كلام المحقق الأميني في نفيه لهذه الأسطورة التي أُتهمت بها الشيعة في غياب الإمام عليه السلام في السرداب في رده على القصيمي، وقد أضاف إليه قوله: (وليت هؤلاء المتقولين في أمر السرداب اتفقوا على رأي واحد في الأكذوبة، حتى لا تلوح عليها لوائح الافتعال فتفضحهم، فلا يقول ابن بطوطة: في رحلته (ص١٩٨) إنّ هذا السرداب المنوه به في (الحلة)، ولا يقول القرماني: في (أخبار الدول) أنه في (بغداد)، ولا يقول آخرون: إنه بـ (سامراء)، ويأتي القصيمي من بعدهم فلا يدري أين هو فيطلق لفظ السرداب ليستر سوءته...) [٤].

إذن، فأين قال الشيعة بكونه متخفياً في السرداب مع عدم وجود ذلك في رواياتهم ولا في أقوال علمائهم [٥] ؟!

١- كشف الأستار، نقلاً عن كتاب حياة الإمام المهدي - للقرشي: ص١١٧.
٢- كتاب المهدي - للسيد صدر الدين الصدر: ص١٥٥، نقلاً عن كتاب حياة الإمام المهدي عليه السلام - للقرشي: ص١١٧.
٣- كشف الغمة: ج٣ ص٢٨٣.
٤- الغدير: ج٣ ص٣٠٨ ، الصراع بين الوثنية والإسلام: ص٦٢.
٥- على الرغم من أننا لا نلتزم بآراء العلماء لكن حتى على السنة علماء الشيعة لا نجد ذلك.

وبعد هذا فالقول بكون الإمام الثاني عشر عليه السلام مختفياً في السرداب محض افتراء وقول باطل مصطنع ومفتعل من قبل الحاقدين يُراد به تشويه صورة الشيعة المؤمنون بالعقيدة الحقة التي تركها محمد صلى الله عليه وآله في أمته، ولكن مع الأسف أن نرى عدم الحياء إلى هذا الحد.

وقد قيل: (إذا لم تستح فافعل ما شئت) [١].

﴿مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً﴾ [٢].

الشبهة الثانية: كيف يكون إماماً مع كونه صغيراً محجوراً عليه ؟

بطبيعة الحال ما يخطه الإنسان بيده يعكس للناس مستواه العلمي، فإن كان ما قاله متيناً فيفهم القارئ أن من خط الأسطر له حض من العلم، وإن كان ما خطه ساذجاً وناتجاً من قصوره وعقله الناقص فيفهم القارئ مستوى الكاتب ويصنفه مع الحمقى.

فلو وقف إنسان منصف بتروٍ عند ما يقوله ابن تيمية يعرف بكل وضوح مدى انحطاط مستوى تفكيره، فهو تارة يذكر الخلاف في ولادة الإمام المهدي عليه السلام، وأخرى يتعرض على فرض كونه مولوداً عنده لحكمه الفقهي من حيث كونه محجوراً عليه، وثالثة يقول كيف يكون إماماً مع هذا العمر الصغير، وأعتقد أن المهم أن نعرف كلامه الأخير فبمعرفته يرتفع الإشكال، قال شيخ السلفية ابن تيمية: (والإمامية الذين يزعمون أنّه كان له ولد يدعون أنّه دخل السرداب بسامراء، وهو صغير منهم من قال عمرة سنتان، ومنهم من قال ثلاث ومنهم من قال خمس سنين، وهذا لو كان موجوداً معلوماً لكان الواجب في حكم الله الثابت بنص القرآن والسنة والإجماع أن يكون محضوناً عند من يحضنه في بدنه كأمه وأم أمّه ونحوهما من أهل الحضانة وأن يكون ماله عند من يحفظه إمّا وصي أبيه إن كان له وصي وإمّا غير الوصي إمّا قريب وإمّا نائب لدى السلطان فإنه يتيم لموت أبيه والله تعالى يقول: ﴿وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ﴾، فهذا لا يجوز تسليم ماله إليه حتى يبلغ النكاح ويؤنس منه الرشد

١- مسند أحمد: ج٤ ص١٢٢.
٢- الكهف: ٥.

كما ذكر الله تعالى ذلك في كتابه فكيف يكون من يستحق الحجر عليه في بدنه وماله إماماً لجميع المسلمين معصوماً لا يكون أحد مؤمناً إلاّ بالإيمان به).

أقول: إنّنا نعتقد بكون الإمامة كالنبوة، فهما يمثلان الخلافة الإلهية، وهي لا ربط لها بالعمر، والقرآن صريح بذلك إذ يقول سبحانه عن نبي الله يحيى عليه السلام: ﴿**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً**﴾[١].

وقال سبحانه عن عيسى عليه السلام: ﴿**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً ۞ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً**﴾[٢].

قال ابن حجر: (واختلف في قوله وآتيناه الحكم صبياً فقيل نبئ وهو ابن تسع سنين، وقيل أقل من ذلك، والمراد بالحكم الفهم في الدين) [٣].

وقال العجلوني: (ولا بعد في إثبات النبوة له مع صغره لأنه كعيسى القائل يوم ولد "إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً"، وكيحيى الذي قال تعالى فيه: "وآتيناه الحكم صبياً"، قال المفسرون نبئ وعمره ثلاث سنين) [٤].

وقال السمعاني: (وقوله: "وآتيناه الحكم صبياً" أي النبوة. هذا قول أكثر المفسرين، وقال قتادة: أعطي النبوة وهو ابن ثلاث سنين) [٥].

وقال السيوطي: ("يا يحيى خذ الكتاب"، أي: التوراة. "بقوة" بجد. "وآتيناه الحكم" النبوة. "صبياً" ابن ثلاث سنين) [٦].

فلم ينف الصغر نبوة هذين النبيين (عليهما السلام)، ولو كان العقل يحيل ذلك لأحاله في كل أحد وعلى كل حال.

١- مريم: ١٢.
٢- مريم: ٢٩ – ٣١.
٣- فتح الباري: ج٦ ص٣٣٨.
٤- كشف الخفاء: ج٢ ص١٥٧.
٥- تفسير السمعاني: ج٣ ص٢٨٢.
٦- تفسير الجلالين: ص٣٩٧.

وهذا هو الحق الذي جاء عن أهل البيت عليهم السلام.

روى الشيخ الكليني باباً في (حالات الأئمة عليهم السلام في السن) [١] جاء فيه:

١ عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن يزيد الكناسي، قال: (سألت أبا جعفر عليه السلام: أكان عيسى ابن مريم عليه السلام حين تكلم في المهد حجة [ا] لله على أهل زمانه ؟ فقال: **كان يومئذٍ نبياً حجة [ا] لله غير مرسل، أما تسمع لقوله حين قال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾**!! قلت: فكان يومئذٍ حجة لله على زكريا في تلك الحال وهو في المهد ؟ فقال: **كان عيسى في تلك الحال آية للناس ورحمة من الله لمريم حين تكلم فعبر عنها وكان نبياً حجة على من سمع كلامه في تلك الحال، ثم صمت فلم يتكلم حتى مضيت له سنتان، وكان زكريا الحجة لله عز وجل على الناس بعد صمت عيسى بسنتين، ثم مات زكريا فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبي صغير، أما تسمع لقوله عز وجل: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾، فلما بلغ عيسى عليه السلام سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة حين أوحى الله تعالى إليه، فكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس أجمعين، وليس تبقى الأرض يا أبا خالد يوماً واحداً بغير حجة لله على الناس منذ يوم خلق الله آدم عليه السلام وأسكنه الأرض.** فقلت: جعلت فداك، أكان علي عليه السلام حجة من الله ورسوله على هذه الأمة في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال: **نعم، يوم أقامه للناس ونصبه علماً ودعاهم إلى ولايته وأمرهم بطاعته.** قلت: وكانت طاعة علي عليه السلام واجبة على الناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد وفاته ؟ فقال: **نعم، ولكنه صمت فلم يتكلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله على أمته وعلى علي عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت الطاعة من الله ومن رسوله على الناس كلهم لعلي عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان علي عليه السلام حكيماً عالماً**).

٢ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن صفوان بن يحيى، قال: (قلت للرضا عليه السلام: قد كنا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر عليه السلام فكنت تقول: يهب الله لي غلاماً،

١- الكافي: ج١ ص٣٨٢.

فقد وهب الله لك فقر عيوننا، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كون فإلى من ؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه، فقلت: جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين ؟ قال: **وما يضرّه من ذلك شيء، قد قام عيسى عليه السلام بالحجة وهو ابن ثلاث سنين**).

٣ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن سيف، عن بعض أصحابنا، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام، قال: (قلت له: إنهم يقولون في حداثة سنك، فقال: **إنّ الله تعالى أوحى إلى داود أن يستخلف سليمان وهو صبي يرعى الغنم، فأنكر ذلك عباد بني إسرائيل وعلماؤهم، فأوحى الله إلى داود عليه السلام أن خذ عصا المتكلمين وعصا سليمان واجعلها في بيت واختم عليها بخواتيم القوم، فإذا كان من الغد فمن كانت عصاه قد أورقت وأثمرت فهو الخليفة، فأخبرهم داود، فقالوا: قد رضينا وسلمنا**).

٤ علي بن محمد وغيره، عن سهل بن زياد، عن يعقوب بن يزيد، عن مصعب، عن مسعدة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال أبو بصير: (دخلت إليه ومعي غلام يقودني خماسي لم يبلغ، فقال لي: **كيف أنتم إذا احتج عليكم بمثل سنه** [أو قال: **سيلي عليكم بمثل سنه**]).

٥ سهل بن زياد، عن علي بن مهزيار، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، قال: (سألته يعني أبا جعفر عليه السلام عن شيء من أمر الإمام، فقلت: يكون الإمام ابن أقل من سبع سنين ؟ فقال: **نعم وأقل من خمس سنين**. فقال سهل: فحدثني علي بن مهزيار بهذا في سنة إحدى وعشرين ومائتين).

٦ الحسين بن محمد، عن الخيراني، عن أبيه، قال: (كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن عليه السلام بخراسان، فقال له قائل: يا سيدي، إن كان كون فإلى من ؟ قال: **إلى أبي جعفر ابني**. فكأن القائل استصغر سن أبي جعفر عليه السلام، فقال أبو الحسن عليه السلام: **إنّ الله تبارك وتعالى بعث عيسى ابن مريم عليه السلام رسولاً، نبياً، صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر**).

٧ الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن علي بن أسباط، قال: (رأيت أبا جعفر عليه السلام وقد خرج عليّ فأخذت النظر إليه وجعلت أنظر إلى رأسه ورجليه، لأصف قامته

لأصحابنا بمصر، فبينا أنا كذلك حتى قعد، فقال: **يا علي، إنّ الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج به في النبوة، فقال: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾[١]، و ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾[٢]، ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾[٣]، فقد يجوز أن يؤتى الحكمة وهو صبي ويجوز أن يؤتاها وهو ابن أربعين سنة**).

٨ علي بن إبراهيم، عن أبيه، قال: قال علي بن حسان لأبي جعفر عليه السلام: (يا سيدي، إنّ الناس ينكرون عليك حداثة سنك، فقال: **وما ينكرون من ذلك قول الله عزّ وجلّ ؟ لقد قال الله عزّ وجلّ لنبيه صلى الله عليه وآله : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[٤]، فو الله ما تبعه إلا علي عليه السلام وله تسع سنين وأنا ابن تسع سنين**) انتهى.

فابن تيمية أراد مقارنة الإمام المهدي عليه السلام بسائر الناس الصغار الذين يكون محجوراً عليهم، ومع كونهم كذلك لا يكونوا أئمة، لكننا لو سألناه لماذا لم يقارن الإمام المهدي عليه السلام بهؤلاء الأنبياء حيث آتاهم الله النبوة والحكمة صغاراً ؟!

بطبيعة الحال إنما جاءت المقارنة المذكورة طبقاً لما يعتقده من كون الإمام المهدي عليه السلام ليس إماماً معصوماً، إذن إنما جاءت هذه المقارنة وبنيت عليها شبهة الحجر بسبب اعتقاده سلفاً بكون الإمام محمد بن الحسن عليه السلام ليس إماماً واجب الطاعة وخليفة من خلفاء الله، وإلا لما كان محلاً للشبهة المذكورة كما أنها ليس لها محل في شخص يحيى وعيسى (عليهما السلام)، إذ لا يصح القول بكونهما محجوراً عليهما مع كونهما نبيين من الله سبحانه على الرغم من صغر سنهما.

وعليه فترجع شبهة ابن تيمية لعدم اعتقاده بالإمامة، ومن هنا ينبغي أن يكون النقاش فيها فإن ثبتت للإمام محمد بن الحسن عليه السلام كما هو الحق فلا محل لهذه الشبهة.

إمّا إن قيل: ما هو الدليل على الإمامة ؟

١- مريم: ١٢.
٢- القصص: ١٤.
٣- الأحقاف: ١٥.
٤- يوسف: ١٠٨.

أقول: دليلها ثابت وأصلها في القرآن الكريم، ويمكن للقارئ الرجوع لكتب السيد أحمد الحسن عليه السلام ولإصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام عموماً فقد أوضحوا فيها إمامة أهل البيت عليهم السلام.

وعدم ثبوتها عند ابن تيمية بسبب جهله وعناده لا يعني عدم ثبوتها في الواقع، فالملحدون إلى الآن لم يثبت عندهم وجود الله سبحانه مع أنّ وجوده ضرورة يقطع بها كل ذي فطرة سليمة، وكذلك اليهود إلى الآن لم يقرّوا بنبوة عيسى عليه السلام على الرغم مما جاء به من دلائل وبينات، وكذلك المسيحيون لم يقرّوا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله مع وضوحها ودلائلها، فهل عدم ثبوت الحق عند هؤلاء يعني عدم ثبوته في الواقع ؟! بل كل هؤلاء قد قامت عليهم الحجة وسوف يردون جهنم بسبب تكذيبهم بالله ورسله عليهم السلام.

ثم إنّ ظاهرة الإمامة المبكرة في تاريخ أهل البيت عليهم السلام قد سبق الإمام محمد بن الحسن عليه السلام بها عددٌ من أئمة أهل البيت، فالإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام تولى الإمامة وهو في الثامنة من العمر، والإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام تولاها وهو في التاسعة من العمر، فهذا ليس جديداً في حياة أهل البيت عليهم السلام.

فما قاله ابن تيمية قول سفيه منقوض بنصوص القرآن والعترة، إلا أنّ الحقد يصطنع شبهات تعشعش في ذهنه الضعيف.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾[1].

* * *

١- البقرة: ١٣.

الوقفة الثالثة:

قال شيخ السلفية ابن تيمية: (ثم إنّ هذا باتفاق منهم سواء قدر وجوده أو عدمه لا ينتفعون به لا في دين ولا في دنيا ولا علم أحداً شيئاً ولا يعرف له صفة من صفات الخير ولا الشر فلم يحصل به شيء من مقاصد الإمامة ولا مصالحها لا الخاصة ولا العامة، بل إن قدر وجوده فهو ضرر على أهل الأرض بلا نفع أصلاً فإنّ المؤمنين به لم ينتفعوا به ولا حصل لهم به لطف ولا مصلحة والمكذبون به يعذبون عندهم على تكذبيهم به فهو شر محض ولا خير فيه وخلق مثل هذا ليس من فعل الحكيم العادل).

الشبهة الأولى: عدم وجود فائدة منه في حال الغيبة

الجواب:

أولاً: إنّ هذه الشبهة إنما جاءت بسبب حصر فائدة الإمام المعصوم عليه السلام بالانتفاع به في الدين أو الدنيا كما يصور الفائدة ابن تيمية، بينما الأمر أعمق من هذه السطحية عند شيخ السلفية بكثير، فالعقيدة الحقة هي أنّ الأرض لا تخلو من حجة لله سبحانه، لكون الحجة هو واسطة الفيض الإلهي، ولهذا فوجود الحجة ضرورة لابد منها.

عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن ابن الطيار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (**لو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجة**) [1].

وعن أحمد بن إدريس ومحمد بن يحيى جميعاً، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن عيسى ابن عبيد، عن محمد بن سنان، عن حمزة بن الطيار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (**لو بقي اثنان لكان أحدهما الحجة على صاحبه**) [2].

فمن غير الممكن أن تخلو الأرض من الحجة إذ لو خليت لساخت بأهلها.

١- بصائر الدرجات: ص٥٠٧.
٢- الكافي: ج١ ص ١٧٨.

عن سعيد، عن سليمان الجعفري، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام، قلت: تخلو الأرض من حجة الله ؟ قال: (**لو خلت الأرض طرفة عين من حجة لساخت بأهلها**) [١].

وعن زياد العطار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (**إنّ الأرض لا تكون إلا وفيها حجة، إنه لا يصلح الناس إلا ذلك، ولا يصلح الأرض إلا ذلك**) [٢].

وهذا يدل على أهمية الحجة والخليفة لكونه الواسطة في الفيض الإلهي كما بيّن ذلك السيد أحمد الحسن عليه السلام في جوابه عن سؤال وجّه إليه.

قال السيد أحمد الحسن اليماني عليه السلام: (لأنّ الحجة عليه السلام موضع الفيض الواصل إلى الأرض، فبسبب وجوده في جميع السماوات والمقامات العلوية القدسية يكون في هذه الأرض مثله كمثل سرّة الطفل، وهي موضع وصول الغذاء للطفل من الأم، فمثله عليه السلام كالحبل السري الواصل من السماء إلى الأرض ينقل الفيض الإلهي إلى الأرض، (**بهم ترزقون، وبهم تمطرون**).

فهو حبل الله المتين وعمود النور النازل من السماء إلى الأرض، ولولاه لساخت الأرض بأهلها أي لا يصل النور الإلهي إلى الأرض فتنحلّ وتعود عدماً هي وأهلها، ولذا فلا يمكن أن يوصف عظيم فضل الحجة عليه السلام على جميع الخلق) [٣].

فلابد من وجود الحجّة في كل زمان، ولذا قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾[٤].

فالحبل الذي يتصل بالسماء هو الخليفة، قال تعالى: ﴿**إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ**﴾[٥].

وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام أنهم فسّروا الحبل الذي من الناس بعلي بن أبي طالب عليه السلام تارة وبأهل البيت عليهم السلام لكونه ولكونهم خلفاء الله سبحانه.

١- بصائر الدرجات: ص ٥٠٩
٢- المحاسن: ج١ ص٢٣٤.
٣- المتشابهات: جواب سؤال ٢٩ من الطبعة ذات الأربعة أجزاء.
٤- فاطر: ٢٤.
٥- آل عمران: ١١٢.

عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾، (**علي بن أبي طالب**) [١].

وعن محمد بن علي العنبري، بإسناده، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنه كان جالساً في المسجد وحوله جماعة من أصحابه وفيهم علي، إذ وقف عليه أعرابي، فقال: يا رسول الله، جئت إليك أسألك عن آية من كتاب الله تعالى سمعته يأمر فيها بما لم أدر ما هو. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **سل يا أعرابي**. قال: سمعت الله عز وجل يقول: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً**﴾، فما هذا الحبل الذي أمرنا أن نعتصم به ؟ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد الأعرابي فوضعها على كتف علي عليه السلام، وقال: **هذا حبل الله الذي آمركم بالاعتصام به**. فدار الأعرابي من خلف علي عليه السلام، فاعتنقه، وقال: اللهم إني أعتصم به. فقال رسول الله: **من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا الأعرابي**) [٢].

وعن أبي جعفر الصايغ: سمعت الصادق عليه السلام يقول في قوله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً**﴾ قال: (**نحن الحبل**) [٣].

ولذا صرّح ابن تيمية وغيره بهذه الحقيقة التي لا يستطيعون إنكارها على الرغم من مكابرة الكثير.

يقول ابن تيمية: (قال تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ ولا تزال فيه طائفة قائمة ظاهرة على الحق فلم ينله ما نال غيره من الأديان من تحريف كتبها وتغيير شرائعها مطلقاً لما ينطق الله به القائمين بحجة الله وبيناته الذين يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنوره أهل العمى، فإنّ الأرض لن تخلو من قائم لله بحجة لكيلا تبطل حجج الله وبيناته) [٤].

وقال تلميذه ابن القيم الجوزية: (والقول على الله بلا علم وإبطال حججه والزهد في كتابه وسنة رسوله وتلقي الأحكام منهما مبلغها ويأبى الله إلا أن يتم نوره ويصدق قول رسوله إنه لا

١- مناقب آل أبي طالب: ج٢ ص٢٧٣.
٢- شرح الأخبار: ج٢ ص٢٠٧.
٣- مناقب آل أبي طالب: ج٢ ص٢٧٣.
٤- مجموع الفتاوى: ج٢٥ ص١٣٠.

تخلو الأرض من قائم لله بحججه ولن تزال طائفة من أمته على محض الحق الذي بعثه به وأنه لا يزال يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها) [١].

وقال ابن حجر: (وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال أنّ الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة والله أعلم)[٢]، ونقل نفس العبارة المتقدمة العيني في عمدة القاري [٣].

إذن، فما قاله ابن تيمية من عدم وجود مصلحة وفائدة ما زال الإمام غائباً إنما صوّره طبقاً لاعتقاده بجواز خلو الأرض من الحجة، وهذا منافٍ لعقيدتنا الثابتة بالقطع واليقين، وعليه فإشكاله لا يمكن أن يرد علينا؛ لكوننا نعتقد بضرورة وجود الحجة سواء كان ظاهراً أم مستتراً، يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (**اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً؛ لئلا تبطل حجج الله وبيناته**) [٤].

وأيضاً المهدي عليه السلام من العترة التي في وجودها أمان لأهل الأرض، وكسفينة نوح عليه السلام كما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله.

وجود أهل البيت (عليهم السلام) أمان للأمة:

لقد روى الحاكم في المستدرك روايات عديدة تؤكد على كون وجود أهل البيت عليهم السلام في الأمة أمان لها:

١ (حدثنا) أبو القاسم الحسن بن محمد السكوني بالكوفة، ثنا عبيد بن كثير العامري، ثنا يحيى بن محمد بن عبد الله الدارمي، ثنا عبد الرزاق، أنبأ ابن عيينة، عن محمد بن سوقة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (**وإنه لعلم للساعة، فقال النجوم أمان لأهل السماء فإذ أذهبت أتاها ما يوعدون، وأنا أمان لأصحابي ما كنت**

١- إعلام الموقعين: ج٢ ص٢٧٦.
٢- فتح الباري: ج٦ ص٣٥٨.
٣- عمدة القاري: ج١٦ ص٤٠.
٤- نهج البلاغة - بشرح محمد عبده: ج٤ ص٣٧.

فإذا ذهبت أتاهم ما يوعدون، وأهل بيتي أمان لأمتي فإذا ذهب أهل بيتي أتاهم ما يوعدون). صحيح الإسناد و لم يخرجاه [١].

٢ (حدثنا) مكرم بن أحمد القاضي، ثنا أحمد بن علي الابار، ثنا إسحاق بن سعيد بن أركون الدمشقي، ثنا خليد ابن دعلج أبو عمر والسدوسي أظنه عن قتادة، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: (**النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس**). هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه [٢].

٣ (حدثنا) أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن القاضي بهمدان من أصل كتابه، ثنا محمد بن المغيرة اليشكري، ثنا القاسم بن الحكم العرني، ثنا عبد الله بن عمرو بن مرة، حدثني محمد بن سوقة، عن محمد بن المنكدر، عن أبيه، عن النبي ﷺ: (إنه خرج ذات ليلة وقد أخر صلاة العشاء حتى ذهب من الليل هنيهة أو ساعة والناس ينتظرون في المسجد فقال: **ما تنتظرون** ؟ فقالوا: ننتظر الصلاة. فقال: **إنكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتموها**. ثم قال: **أما إنها صلاة لم يصلها أحد ممن كان قبلكم من الأمم**. ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: **النجوم أمان لأهل السماء فإن طمست النجوم أتى السماء ما يوعدون، وأنا أمان لأصحابي فإذا قبضت أتى أصحابي ما يوعدون، وأهل بيتي أمان لأمتي فإذا ذهب أهل بيتي أتى أمتي ما يوعدون**) [٣].

أهل البيت كسفينة نوح عليه السلام:

روى الحاكم في المستدرك وغيره عدّة روايات، منها:

١ (أخبرنا) ميمون بن إسحاق الهاشمي، ثنا أحمد بن عبد الجبار يونس بن بكير، ثنا المفضل بن صالح، عن أبي إسحاق، عن حنش الكناني، قال: (سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ

١- المستدرك - للحاكم النيسابوري: ج٢ ص٤٤٨. وقال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة - تصحيح محمد البلبيسي - المطبعة الوهبية - مصر - ١٢٩٢ هـ - ج٢ باب الأمان ببقائهم ص٢٠٧: (... وصح النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف...)، وقال أيضاً ج٢ بـ١١ فـ١ الآية السابعة ص١٣٤: (... وفي رواية صححها الحاكم على شرط الشيخين النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس...).

٢- المستدرك - للحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٤٩.

٣- المستدرك - للحاكم النيسابوري: ج٣ ص٤٥٧.

بباب الكعبة: أيها الناس، من عرفني فأنا من عرفتم، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق**)، هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه [١].

٢ (أخبرني) أحمد بن جعفر بن حمدان الزاهد ببغداد، ثنا العباس بن إبراهيم القراطيسي، ثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، ثنا مفضل بن صالح، عن أبي إسحاق، عن حنش الكناني، قال: (سمعت أبا ذر رضي الله عنه يقول وهو آخذ بباب الكعبة: من عرفني فأنا من عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت النبي ﷺ يقول: **ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق**) [٢].

٣ وروى الطبراني في المعجم الأوسط: حدثنا الحسين بن أحمد بن منصور [بن] سجادة، قال: نا عبد الله بن داهر الرازي، قال: نا عبد الله بن عبد القدوس، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن حنش بن المعتمر، قال: (رأيت أبا ذر الغفاري أخذ بعضادتي باب الكعبة وهو يقول: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري، سمعت رسول الله ﷺ [قال]: **مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح في قوم نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك ومثل باب حطة في بني إسرائيل**) [٣].

٤ وروى أيضاً: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، قال: حدثنا علي بن حكيم الأودي، قال: حدثنا عمرو بن ثابت، عن سماك بن حرب، عن حنش بن المعتمر، قال: (رأيت أبا ذر وهو آخذ بحلقة الكعبة وهو يقول: أنا أبو ذر الغفاري من لم يعرفني فأنا جندب الغفاري،

١- المستدرك - للحاكم النيسابوري: ج٢ ص٣٤٣.
وجاء معنى هذا الحديث في المصادر الآتية مع اختلاف في اللفظ فقط: سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ج١١ ص١١ – ١٢، وقال عنه: "قال الحافظ أبو الخير السخاوي: وبعض طرق هذا الحديث يقوي بعضها بعضاً". البلدانيات لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفي ٩٠٢ هـ - تحقيق حسام بن محمد القطان - دار العطاء - ط١ - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م - ص١٨٦ – ١٨٧، وقال عنه: "هذا حديث حسن"، ثم قال رداً على البزاز في قوله بانفراد أبي ذر برواية هذا الحديث، ص١٨٨ – ١٨٩: "وليس كذلك؛ بل في الباب عن ابن عباس، وابن الزبير، وأبي سعيد الخدري (رضي الله عنهم) وبعضها يقوي بعضاً ولذلك حسنته".
السراج المنير بشرح الجامع الصغير - للعزيزي: ج٣ ص٢٧٩، وقال عنه: "وإسناده حسن".
وقال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة ج٢ باب الأمان ببقائهم ص٢٠٧: "وجاء من طرق كثيرة يقوي بعضها بعضاً (مثل أهل بيتي) وفي رواية: (إنما مثل أهل بيتي) وفي أخرى: (إن مثل أهل بيتي) وفي رواية: (ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)، وفي رواية: (من ركبها سلم ومن لم يركبها غرق وإن مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له).
٢- المستدرك - للحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٥١.
٣- المعجم الأوسط: ج٤ ص١٠، المعجم الصغير: ج١ ص١٣٩.

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق**) [١].

٥ وروى أيضاً: حدثنا محمد بن عبد العزيز بن محمد بن ربيعة الكلابي، قال: نا أبي، قال: نا عبد الرحمن بن أبي حماد، عن أبي سلمة الصائغ، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**إنما مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل**) [٢].

فإذا كانت هذه مترلة أهل البيت عليهم السلام وضرورة وجودهم، فالغاية من نصب الإمام عليه السلام لا تنحصر بمشاهدته لأخذ معالم الدين منه، بل هناك ضرورة لوجوده وثمرات تترتب على وجوده، فنفس وجوده لطف إلهي وفيه أمان لأهل الأرض، فما دام الإمام عليه السلام موجوداً بين الناس هم في مأمن، ﴿**وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾[٣]، فنفس وجود النبي صلى الله عليه وآله فيه أمان للناس وتأجيل العذاب والعقوبة فكذلك الحال في أهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري عليه السلام.

عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (**قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: أكتب ما أُملي عليك، قال علي عليه السلام: يا نبي الله، وتخاف النسيان ؟ قال: لست أخاف عليك النسيان وقد دعوت الله لك أن يحفظك فلا ينساك لكن أكتب لشركائك. قال: قلت: ومن شركائي يا نبي الله ؟ قال: الأئمة من ولدك، بهم يسقى أمتي الغيث، وبهم يستجاب دعاؤهم، وبهم يصرف البلاء عنهم، وبهم تترل الرحمة من السماء، وهذا أولهم، أومأ بيده إلى الحسن، ثم أومأ بيده إلى الحسين، ثم قال: الأئمة من ولدك**) [٤].

عن خيثمة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: (**نحن جنب الله، ونحن صفوته، ونحن خيرته، ونحن مستودع مواريث الأنبياء، ونحن أمناء الله، ونحن حجة الله، ونحن أركان الإيمان، ونحن دعائم الإسلام، ونحن من رحمة الله على خلقه، ونحن الذين بنا يفتح الله وبنا**

١- المعجم الأوسط: ج٥ ص٣٥٥.
٢- المعجم الأوسط: ج٦ ص٨٥.
٣- الأنفال: ٣٣.
٤- بصائر الدرجات: ص١٨٧، كمال الدين وتمام النعمة: ص٢٠٦.

يختم، ونحن أئمة الهدى، ونحن مصابيح الدجى، ونحن منار الهدى، ونحن السابقون، ونحن الآخرون، ونحن العلم المرفوع للخلق من تمسك بنا لحق ومن تخلف عنا غرق، ونحن قادة الغر المحجلين، ونحن خيرة الله، ونحن الطريق وصراط الله المستقيم إلى الله، ونحن من نعمة الله على خلقه، ونحن المنهاج، ونحن معدن النبوة، ونحن موضع الرسالة، ونحن الذين إلينا مختلف الملائكة، ونحن السراج لمن استضاء بنا، ونحن السبيل لمن اقتدى بنا، ونحن الهداة إلى الجنة، ونحن عز الإسلام، ونحن الجسور القناطر من مضى عليها سبق ومن تخلف عنها محق، ونحن السنام الأعظم، ونحن الذين بنا نزل الرحمة وبنا تسقون الغيث، ونحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب، فمن عرفنا ونصرنا وعرف حقنا وأخذ بأمرنا فهو منا وإلينا) [1].

فلذا حينما سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الفائدة من الإمام وهو غائب مستور، فأجاب قائلاً: (**كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب**) [2]. فكما أنّ وجود الشمس ضرورة فكذلك وجود الإمام المهدي عليه السلام، ولعل تعبير الإمام الصادق عليه السلام بستر السحاب للشمس (الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام) مؤشر واضح بأنّ الإمام المنتظر مغيب وليس غائباً كما سيأتي في سبب الغيبة فانتظر.

وبعد هذا لنعود، فابن تيمية لكونه يعتقد سلفاً بعدم ضرورة وجود خليفة منصوص عليه بعد النبي صلى الله عليه وآله جاء هذا الإشكال، ولو اعتقد بالتنصيب الإلهي ووجود خلفاء للنبي صلى الله عليه وآله وأن محمد بن الحسن هو آخرهم لما تفيهق وقال ما قال.

ومن هنا سيتحول النقاش في أصل الاعتقاد أعني: هل الإمام محمد بن الحسن عليه السلام خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله أم لا ؟

ثانياً: من المعلوم أنّ عيسى وإلياس والخضر عليهم السلام موجودون، وسيأتي الكلام حول وجودهم في الوقفة اللاحقة ، فالسؤال الذي يجب على ابن تيمية الإجابة عليه هو: هل أنّ في وجودهم مصلحة دنيوية ودينية أم لا ؟

١- بصائر الدرجات: ص٨٢، كمال الدين وتمام النعمة: ص٢٠٥.
٢- أمالي الصدوق: ص٢٥٣، كمال الدين وتمام النعمة: ص٢٠٧، بحار الأنوار: ج٢٣ ص٦.

إن قال لا، فيلزم نسبة العبث لله سبحانه وتعالى حيث أنه سبحانه هو من أبقاهم، فما دام لا فائدة مرجوة من بقائهم فلماذا أبقاهم سبحانه ؟!

وإن قال فيه فائدة، فأقول: ما هي الفائدة ؟

إن قال أجهلها، فأقول: هنا كذلك، فغيبة الإمام المهدي عليه السلام بما أنها فعل الله سبحانه فقطعاً تكون لها فائدة وعدم العلم بالفائدة لا يعني عدم وجودها، فينتفي كل ما قاله من شبهات.

وإن أبرز وجهاً من وجوه الفائدة لغيبة عيسى وإلياس والخضر عليهم السلام، فأيضاً توجد فائدة قطعاً من غيبة الإمام المهدي محمد بن الحسن عليه السلام؛ وهذا ما بينته الروايات المتقدمة.

أمّا إن كان ابن تيمية ومن لف لفه لا يريد أن يقتنع بهذه الروايات وغيرها مما يثبت وجود فائدة ومصلحة في غيبته عليه السلام فهذا ليس لعجز في الدليل، بل الدليل العلمي موجود إلا أن نفسه وأشباهها نفوس منكرة مجبولة على التشكيك في الواضحات والالتواء على الحق، كالذين كانوا في زمن الرسول صلى الله عليه وآله مع وضوح حجته التي يقر بها ابن تيمية اليوم إلا أنّ المعاصرين له رفضوها وسفهوها فهو ابن تيمية كأولئك.

فلا يستطيع من له مسكة عقل أن يرد كلام النبي صلى الله عليه وآله بسبب شبهات عشعشت في ذهن ابن تيمية وأشباهه من المرضى.

ولعل قائل يقول: من قال أن غيبته هي من فعل الله سبحانه ؟

أقول: لكونه خليفة من خلفاء الله سبحانه، فخليفة الله فعله فعل الذي أرسله وهذا أمر واضح في القرآن، فلذا نجد العبد الصالح عليه السلام يقول لموسى عليه السلام: ﴿**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً**﴾[1]، فالعبد الصالح عليه السلام دوره دور المنفذ لأمر الله سبحانه لكونه خليفة من خلفائه في أرضه، فلا يفعل شيئاً عن أمره بل بأمر الله سبحانه.

١ـ الكهف: ٨٢.

وكذلك نجد هذا المعنى في قصة إرسال عيسى عليه السلام رسلاً لأنطاكيا، فالمُرسل هو عيسى عليه السلام إلا أنّ القرآن ينسب الإرسال إلى الله سبحانه: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ ۞ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾[1].

وإن قيل: كيف يكون المهدي من خلفاء الله سبحانه ؟

فأقول: لكونه ثاني عشر العترة الذين هم خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله، وخلفاؤه والأمراء الإثني عشر في روايات أبناء السنة والجماعة، فيجب معرفة هل أنه حقاً خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله أم لا، وإذا ثبت أنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله فقطعاً تكون غيبته واقعة ضمن الإرادة الإلهية.

الشبهة الثانية: وجود الإمام في غيبته شر محض

الجواب:

أولاً: إنّه ادعى أنّ وجود الإمام المهدي عليه السلام غائباً شر محض لكون من لا يؤمن به يعذّب كما يعتقد الشيعة، وهذا ينافي العدالة الإلهية.

فهذا خلاصة ما قاله: ولا أظنه يلتزم بالنتائج لهذا القول السفيه الجاهل، إذ النبي صلى الله عليه وآله وجوده لطف إلهي قطعاً، ولكن من أعرض عنه وكفر به بطبيعة الحال سيعذّب بسبب صدّه عن الحق وعدم إيمانه بالرسول صلى الله عليه وآله، فهل يلزم أن يكون وجود الرسول صلى الله عليه وآله شراً محضاً ؟!

فلو قال الكافر بالرسول صلى الله عليه وآله إنّ رسولكم شر محض لكون من لا يؤمن به سيدخل النار باعتقادكم هل يرتضي هذا ابن تيمية أم لا ؟ فهو بطبيعة الحال لا يرتضي هذا الكلام، فكما هو لا يرتضيه من الكافر كذلك لا نرتضيه منه.

ثانياً: تقدم أنّ وجوده عليه السلام ضرورة إلهية؛ لكونه خليفة الله وحجته على عباده، ومع كونه كذلك فكيف يكون شراً محضاً ؟!

* * *

١- يس: ١٣ – ١٤.

أسباب غيبة الإمام المهدي محمد بن الحسن عليه السلام:

وأود قبل الوقفة الرابعة بيان سبب الغيبة للإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، لما لها مساس بما سيأتي بيانه، وسأترك القلم لقائم آل محمد السيد أحمد الحسن عليه السلام وهو يبين سبب الغيبة.

قال عليه السلام: (الإمام عليه السلام لطف إلهي بالمؤمنين، ووجوده ظاهراً بينهم فيه حثّ كبير لهم على الالتزام الديني، فإذا امتنع ظهوره لخوف القتل مثلاً، فإنّ وجود سفير له عليه السلام أفضل بكثير من غيبته التامة؛ لأنّ السفير هو القائد البديل للإمام عليه السلام الذي ينقل أوامره عليه السلام، فوجوده أي السفير كذلك لطف إلهي؛ لأنّ وجوده شبه وجود المعصوم، حيث بوجود السفير يمكن الاتصال بالإمام ومعرفة الأحكام الشرعية الصحيحة، وخصوصاً ما يستجد منها مع مرور الزمن، وإذا كان الأمر كذلك فما هو سبب الغيبة التامة ؟!

وللإجابة هناك عدّة فروض، منها:

١ الخوف من اغتياله من قبل الطواغيت:

وهذا يمكن أن يكون صحيحاً إذا كان الإمام ظاهراً للجميع، أمّا إذا كان غائباً غيبة غير تامة، أي بوجود سفير فيكون الإمام عليه السلام بعيد عن أعين الطواغيت ومكرهم السيئ، خصوصاً أنّه عليه السلام مؤيد من الله. وفي نفس الوقت يتصل بالمؤمنين ويوصل إليهم الأحكام الشرعية والتوجيهات التي يحتاجونها، إذن للتخلّص من خطر الطواغيت يكفي الغيبة غير التامة مع السفارة، فلا داعي للغيبة التامة، والله أعلم.

٢ عدم وجود شخص مؤهل للسفارة والنيابة الخاصة عن الإمام عليه السلام:

حيث أنّ السفير عند الإمام يجب أن يتمتع بكثير من صفات الإمام عليه السلام، فلا أقل من درجة عالية من الزهد والتقوى والورع ومخافة الله والمقدرة على إدارة شؤون الأمة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وأن يكون فقيهاً، أي: إنّه على دراية بحديث المعصومين عليهم السلام، لا أن يكون فقيهاً بالمعنى المتعارف اليوم.

فالسفير لا يقوم باستنباط الأحكام الشرعية، بل هو مؤمن مخلص يقوم بنقل الأحكام الشرعية من الإمام عليه السلام إلى الأمة، كما أنّه مع وجود سفير للإمام عليه السلام لا يجوز لأحد استنباط حكم فقهي برأيه، وإن كان فقيهاً جامعاً للشرائط المتعارفة اليوم.

وهذا يمكن أن يكون سبباً للغيبة التامة، ولكن عدم وجود شخص واحد مؤهل للسفارة أمر بعيد، هذا وقد ورد في حديثهم عليهم السلام ما معناه: (إنّ الإمام لا يستوحش من وحدته عليه السلام في زمن الغيبة مع وجود ثلاثين مؤمن من الصالحين) [١].

٣ إعراض الأمة عن الإمام عليه السلام:

وعدم الاستفادة منه استفادة حقيقية، وعدم التفاعل معه كقائد للأمة، فتكون الغيبة التامة عقوبة للأمة، وربما يكون من أهدافها إصلاح الأمة بعد تعرضها لنكبات ومآسي بسبب غياب القائد المعصوم. فتكون الغيبة الكبرى شبيهة بتيه بني إسرائيل في صحراء سيناء، أي: إنها عقوبة إصلاحية، الهدف منها خروج جيل من هذه الأمة مؤهل لحمل الرسالة الإلهية إلى أهل الأرض، جيل لا يرضى إلاّ بالمعصوم قائداً، ولا يرضى إلاّ بالقرآن دستوراً وشعاراً ومنهاجاً للحياة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف إعراض هذه الأمة عن الإمام والقرآن: (**وإنّه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله !! وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرّف عن مواضعه، ولا في البلاد شيءٌ أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر، فقد نبذ الكتاب حُملته، وتناساه حفظته، فالكتاب يومئذٍ وأهله منفيان طريدان وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤو !! فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم، ومعهم وليسا معهم؛ لأنّ الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا، فاجتمع القوم على الفرقة وافترقوا عن الجماعة، كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب**

١- روى الشيخ الكليني: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (لابد لصاحب هذا الأمر من غيبة، ولابد له في غيبته من عزلة، ونعم المنزل طيبة، وما بثلاثين من وحشة) الكافي: ج١ ص٣٤٠، غيبة النعماني: ص١٩٤، غيبة الطوسي: ص١٦٢. وما في غيبة الطوسي فيه اختلاف يسير.

إمامهم ! فلم يبق عندهم منه إلا اسمه، ولا يعرفون إلا خطه وزبره !! ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثله، وسمّوا صدقهم على الله فرية، وجعلوا في الحسنة عقوبة السيئة) [١].

والدال على أنّ سبب الغيبة التامة هو إعراض الأمة عدّة أمور، منها:

أ التوقيعات الصادرة عنه عليه السلام عن طريق سفرائه قليلة جدّاً، مما يدل على أنّ الأسئلة الموجهة إليه قليلة أيضاً.

ولعل قائل يقول: إنّ التوقيعات كثيرة، ولكن لم يصل لنا منها إلا هذا العدد الضئيل.

والحق: إنّ هذا الاعتراض لا ينطلي على من تدبر قليلاً، فلو كانت التوقيعات كثيرة لوصل لنا منها الكثير وإن ضاع منها شيء، فحتماً أنّ أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله والإمام الصادق والإمام الرضا (عليهما السلام) لم تصل لنا جميعها، ولكن وصل لنا منها الكثير، وأحاديث الإمام عليه السلام ليست ببدع من أحاديث الأئمة عليهم السلام، والظروف التي أحاطت بها ليست بأعظم من الظروف التي أحاطت بخطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حتى وصل لنا منها كتاب نهج البلاغة.

كما أنّ علماء الشيعة في زمن الغيبة الصغرى كانوا يهتمون في كتابة أحاديث الأئمة عليهم السلام، وعرض كتبهم على الإمام عليه السلام عن طريق السفراء، ومن هذه الكتب الكافي للكليني (رحمه الله)، فلماذا لم يهتم أحد منهم بكتابة التوقيعات الصادرة منه عليه السلام ؟!

والحقيقة أنهم اهتموا بكتابتها، ولكنها قليلة.

ويدل على إعراض الناس عن العلم والإمام ما قدّم الكليني في كتابه الكافي. هذا والكليني عاش في زمن الغيبة الصغرى، ومات في نهاية أيامها على الأصح، فقد مات في شعبان سنة ٣٢٩ هـ، أي في نفس الشهر والسنة التي مات بها علي بن محمد السمري، آخر السفراء الأربعة.

١- نهج البلاغة - بشرح محمد عبده: ج٢ ص٣١، بحار الأنوار: ج٣٤ ص٢٣٣.

قال الكليني (رحمه الله): (أمّا بعد، فقد فهمت ما شكوت اصطلاح أهل دهرنا على الجهالة، وتوازرهم وسعيهم في عمارة طرقها، ومباينتهم العلم وأصوله، حتى كاد العلم معهم أن يأزر كلّه، وينقطع مواده، لِما قد رضوا أن يستندوا إلى الجهل، ويضيعوا العلم وأهله) [١].

وقال: (فمن أراد الله توفيقه وأن يكون إيمانه ثابتاً مستقراً سبّب له الأسباب التي تؤديه إلى أن يأخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بعلم يقين وبصيرة، فذاك أثبت في دينه من الجبال الرواسي، ومن أراد الله خذلانه وأن يكون دينه معاراً مستودعاً نعوذ بالله منه سبّب له الأسباب للاستحسان والتقليد والتأويل من غير علم وبصيرة، فذاك في مشيئة الله إن شاء الله تبارك وتعالى أتم إيمانه وإن شاء سلبه إياه، ولا يؤمن عليه إن يصبح مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً؛ لأنّه كلما رأى كبيراً من الكبراء مال معه، وكلما رأى شيئاً استحسن ظاهره قبله. وقد قال العالم عليه السلام [٢]: "**إنّ الله عزّ وجلّ خلق النبيين على النبوة فلا يكونون إلا أنبياء، وخلق الأوصياء على الوصية فلا يكونون إلا أوصياء، وأعار قوماً الإيمان فإن شاء أتمه لهم، وإن شاء سلبهم إياه**، قال: **وفيهم جرى قوله: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾**" [٣].

فاعلم يا أخي أرشدك الله أنّه لا يسع أحد تمييز شيء مما اختلف الرواية فيه عن العلماء عليهم السلام برأيه، إلا على ما أطلقه العالم بقوله: "**اعرضوها على كتاب الله فما وافق كتاب الله عزّ وجلّ فخذوه، وما خالف كتاب الله فردوه**"، وقوله عليه السلام: "**دعوا ما وافق القوم، فإنّ الرشد في خلافهم**"، وقوله عليه السلام: "**خذوا بالمجمع عليه فإنّ المجمع عليه لا ريب فيه**". ونحن لا نعرف من جميع ذلك إلا قلة، ولا نجد شيئاً أحوط ولا أوسع من ردّ علم ذلك كلّه إلى العالم عليه السلام [٤]، وقبول ما أوسع من الأمر فيه بقوله: "**بأيهما أخذتم من باب التسليم وسعكم**") [٥].

ب ورد عنهم عليهم السلام إنه مظلوم، وإنه أخملهم ذكراً:

١- الكافي: ج١ ص٥.
٢- المقصود به الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، فهذا أحد ألقابه.
٣- الأنعام: ٩٨.
٤- أي الإمام صاحب الأمر، منه عليه السلام.
٥- الكافي: ج١ ص٨.

قال الباقر عليه السلام: (**الأمر في أصغرنا سناً، وأحملنا ذكراً**) [١]. فحمول ذكره بين الشيعة دال على أعراضهم عنه عليه السلام.

ج خرج منه عليه السلام توقيع إلى سفيره العمري، جاء فيه: (... **وأمّا علة ما وقع من الغيبة، فإنّ الله عزّ وجلّ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾** [٢]) [٣].

وربما يفهم من هذا الحديث أنكم سبب من أسباب الغيبة، والحر تكفيه الإشارة.

وبعد جوابه على مسائل الحميري التي سألها، قال عليه السلام: (**بسم الله الرحمن الرحيم، لا لأمره تعقلون ولا من أوليائه تقبلون، ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾**[٤]**، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**) [٥]. ولا يخفى ما في كلامه عليه السلام من ألم سببه إعراض هذه الأمة عن الحق وعنه عليه السلام، ونحن أيّها الأحبة لو كنا موقنين أنّه حجة الله علينا لعملنا ليلاً ونهاراً لتعجيل فرجه، ولقدّمناه على النفس والمال والولد.

د ركون الأمة للطاغوت وإعانته بأي شكل كان ولو بالأعمال المدنية التي يعتقد الناس إباحتها، وهذا بيّنٌ لمن تصفّح التاريخ وخصوصاً في زمن الغيبة الكبرى. فقد أعان الطاغوت كثير من العلماء والجهلاء على السواء، مع أنّ الإمام الكاظم عليه السلام اعترض على صفوان (رضي الله عنه)؛ لأنّه أجّر جماله للطاغوت العباسي هارون ليذهب بها إلى الحج.

قال تعالى: **﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾**[٦]**.....**) [٧].

إذن، السبب هو إعراض الأمة عن خليفة الله سبحانه، ومن الطبيعي لا تبقى فائدة من وجوده بينهم لكون وجوده بينهم وعدمه سيان.

١- غيبة النعماني: ص١٩١، بحار الأنوار: ج٥١ ص٤٣.
٢- المائدة: ١٠١.
٣- كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٨٥، غيبة الطوسي: ص٢٩٢، الاحتجاج: ج٢ ص٢٨٤، بحار الأنوار: ج٥٢ ص٩٢.
٤- القمر: ٥.
٥- الاحتجاج: ج٢ ص٣١٦، بحار الأنوار: ج٩١ ص٢، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج٤ ص٣٤٩.
٦- هود: ١١٣.
٧- العجل: ج٢ ص٥٩.

ومن هنا جاءت الغيبة الكبرى وهي كما قال يماني آل محمد عليه السلام: (شبيهة بتيه بني إسرائيل في صحراء سيناء، أي: إنها عقوبة إصلاحية، الهدف منها خروج جيل من هذه الأمة مؤهل لحمل الرسالة الإلهية إلى أهل الأرض، جيل لا يرضى إلاّ بالمعصوم قائداً، ولا يرضى إلا بالقرآن دستوراً وشعاراً ومنهاجاً للحياة).

وبسبب التخاذل عن خلفاء الله نجد الحكومات الطاغوتية متسلطة عبر الأزمان على رقاب الناس، فأصبح التخاذل السمة البارزة وقد اعتادت عليه الأمة بل أصبحت الأمة تربي تربية متخاذلة، فأصبح التخاذل مرضاً معدياً، وكما يقول الشاعر:

فلما رأيت الجهل في الناس فاشياً تجاهلت حتى قيل عني جاهلُ

فلذا نجد التسلط بدأ (منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا لعيب في الأوصياء الإمام علي وولده عليهم السلام ، ولكن العيب فينا نحن إننا دائماً متخاذلون عن نصرة الحق، ..) [١].

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (**أيها الناس، لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق، ولم تهنوا عن توهين الباطل، لم يطمع فيكم من ليس مثلكم، ولم يقو من قوي عليكم. لكنكم تهتم متاه بني إسرائيل. ولعمري ليضعفن لكم التيه من بعدي أضعافاً بما خلفتم الحق وراء ظهوركم، وقطعتم الأدنى ووصلتم الأبعد. واعلموا أنكم إن اتبعتم الداعي لكم سلك بكم منهاج الرسول، وكفيتم مؤونة الاعتساف، ونبذتم الثقل الفادح عن الأعناق**) [٢].

فالخلاصة: إنّ الغيبة وقعت بسبب إعراض الناس عن خليفة الله سبحانه، وجاءت كما جاء التيه في بني إسرائيل لكي يهيئ الله جيلاً صالحاً مستعداً لحمل الرسالة الإلهية.

* * *

١- العجل: ج٢ ص٦٥.
٢- نهج البلاغة - بشرح محمد عبده: ج٢ ص٧٩.

الوقفة الرابعة:

قال شيخ السلفية ابن تيمية: (وإذا قالوا: إنّ الناس بسبب ظلمهم احتجب عنهم.

قيل:

أولاً: كان الظلم موجوداً في زمن آبائه و لم يحتجبوا.

وقيل ثانياً: فالمؤمنون به طبقوا الأرض فهلا اجتمع بهم في بعض الأوقات أو أرسل إليهم رسولاً يعلمهم شيئاً من العلم والدين.

وقيل ثالثاً: قد كان يمكنه أن يأوى إلى كثير من المواضع التي فيها شيعته كجبال الشام التي كان فيها الرافضة عاصية وغير ذلك من المواضع العاصية.

وقيل رابعاً: فإذا هو لا يمكنه أن يذكر شيئاً من العلم والدين لأحد لأجل هذا الخوف لم يكن في وجوه لطف ولا مصلحة فكان هذا مناقضاً لما أثبتوه بخلاف من أرسل من الأنبياء وكذب فإنه بلغ الرسالة وحصل لمن امن من اللطف والمصلحة ما هو من نعم الله عليه وهذا المنتظر لم يحصل به لطائفته إلاّ الانتظار لمن لا يأتي ودوام الحسرة والألم ومعاداة العالم والدعاء الذي لا يستجيبه الله لأنهم لم يحصل شيء من هذا).

تعرّض في هذا المقطع لشبهات أربعة متعلقة بغيبة الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام.

الشبهة الأولى:

قال: (وإذا قالوا: إنّ الناس بسبب ظلمهم احتجب عنهم. قيل: أولاً: كان الظلم موجوداً في زمن آبائه و لم يحتجبوا).

الجواب: إنّ العقيدة الحقة في أهل البيت عليهم السلام أنهم خلفاء الله سبحانه، ولكل أحد منهم دوره في الأمة، وجميع تلك الأدوار إنما هي معطاة لهم من الله سبحانه، ولهذا سقط الكثير في الشبهات عندما أخذ يقيس ما فعله الإمام الحسن عليه السلام بفعل الحسين عليه السلام، ومن هنا ذهب الكثير من المشوشين الجاهلين للطعن بالإمام الحسن عليه السلام، كما وذهب آخرون للطعن بما فعله

الإمام الحسين عليه السلام، بأنه أوجد الفتنة في الأمة. والحال إنّ الأمر ليس كذلك وهذا ما يوضحه لنا الإمام الصادق عليه السلام.

عن معاذ بن كثير، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام)، أنه قال: (**الوصية نزلت من السماء على رسول الله صلى الله عليه وآله كتاباً مختوماً، ولم يترل على رسول الله صلى الله عليه وآله كتاب مختوم إلا الوصية، فقال جبرئيل عليه السلام: يا محمد، هذه وصيتك في أمتك إلى أهل بيتك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أي أهل بيتي يا جبرئيل ؟ فقال: نجيب الله منهم وذريته ليورثك علم النبوة قبل إبراهيم، وكان عليها خواتيم ففتح علي عليه السلام الخاتم الأول ومضى لما أمر فيه، ثم فتح الحسن عليه السلام الخاتم الثاني ومضى لما أمر به، ثم فتح الحسين عليه السلام الخاتم الثالث فوجد فيه أن قاتل وأقتل وتقتل واخرج بقوم للشهادة، لا شهادة لهم إلا معك ففعل، ثم دفعها إلى علي بن الحسين عليه السلام ومضى، ففتح علي بن الحسين الخاتم الرابع فوجد فيه أن أطرق واصمت لما حجب العلم، ثم دفعها إلى محمد بن علي (عليهما السلام) ففتح الخاتم الخامس فوجد فيه أن فسر كتاب الله تعالى وصدق أباك وورث ابنك العلم واصطنع الأمة، وقل الحق في الخوف والأمن ولا تخش إلا الله، ففعل ثم دفعها إلى الذي يليه**. فقال معاذ بن كثير: فقلت له: وأنت هو ؟ فقال: **ما بك في هذا إلا أن تذهب يا معاذ فترويه عني، نعم أنا هو**. حتى عدد عليّ اثني عشر اسماً ثم سكت، فقلت: ثم من ؟ فقال: **حسبك**) [1].

فلكل وصي من أوصياء النبي صلى الله عليه وآله وظيفته وخاتمه الذي يخصّه دون غيره، وهو يعمل بما فيه وفي وقته وزمنه، ويجب التسليم له لكونه خليفة الله في أرضه.

ومن هنا فمن آمن بكونهم خلفاء الله سبحانه فليس عليه إلا السمع والطاعة لإمام زمانه، ولذا دائماً نقول أنّ نقاش الجزئيات من الأخطاء المنهجية في النقاش العلمي؛ لكون جميع الجزئيات مبنية على أمر كلي ثابت بالنصوص القطعية، وإذا ثبت الأمر الكلي ثبت ما دونه، فمن أقر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله بالدليل سيقبل جميع ما أخبر به، وإن لم يقبل بنبوته نعوذ بالله فلا يقبل جميع ما قاله. وفي ما نحن فيه إن ثبتت إمامة الإمام محمد بن الحسن عليه السلام ترتفع جميع هذه الشبهات بل الترهات.

١- غيبة النعماني: ص٥٢.

وبناء على ما تقدّم تنتقض الشبهة الأولى؛ لكونها بنيت على القياس بين غيبة الإمام وعدم غيبة آبائه عليهم السلام، والحال أنّ لكل واحد منهم عليهم السلام خاتماً ووظيفة إلهية يعمل طبقاً لها، فمن هنا سيتغير سلوك كل واحد منهم عليهم السلام.

فقوله: (كان الظلم موجوداً في زمن آبائه و لم يحتجبوا)، ففيه:

أولاً: تقدّم أنّ سبب الغيبة ليس هو وجود الظلم فقط، بل لعدم وجود الجيل الصالح الذي يحمل الرسالة الإلهية، فجاءت الغيبة لمشيئة إلهية فيها الخير والصلاح للأمة جمعاء، واستمرت حتى يهيئ الله الجيل الصالح لحمل الرسالة الإلهية الذي يجعل حاكمية الله له شعاراً ومنهاجاً، فهي نظير تيه بني إسرائيل حتى جاء بعد التيه الجيل الصالح الذي استطاع أن يقوده يوشع بن نون وصي موسى عليهما السلام لفتح الأرض المقدسة.

ثانياً: إنّ آباءه لهم ظرفهم ووظيفتهم وهو له وظيفته الإلهية، فتلغى المقارنة كما تقدّم.

الشبهة الثانية والثالثة:

قال شيخ السلفيين ابن تيمية: (وقيل ثانياً: فالمؤمنون به طبقوا الأرض فهلا اجتمع بهم في بعض الأوقات أو أرسل إليهم رسولاً يعلمهم شيئاً من العلم والدين.

وقيل ثالثاً: قد كان يمكنه أن يأوى إلى كثير من المواضع التي فيها شيعته كجبال الشام التي كان فيها الرافضة عاصية وغير ذلك من المواضع العاصية).

الجواب: إنهما محض اقتراح يقترحه ابن تيمية ناشئ من محدودية وقصور تفكيره، فحاله حال من اقترح على النبي صلى الله عليه وآله قائلاً: ﴿... **لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً ۞ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً ۞ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً ۞ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً**﴾[1].

١- الإسراء: ٩٠ – ٩٣.

وكحال أهل الكتاب الذين اقترحوا على محمد ﷺ وموسى عليه السلام: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً﴾[1].

وقد عرفت زيفهما مما تقدّم في الجواب على الشبهة الأولى؛ فالإمام عليه السلام لا يُملي عليه أحد ويقترح عليه شيئاً، فهو المطاع بعد الإقرار بإمامته، وإلاّ فليكن النقاش في إثبات إمامته أولاً.

الشبهة الرابعة:

قال ابن تيمية: (وقيل رابعاً: فإذا هو لا يمكنه أن يذكر شيئاً من العلم والدين لأحد لأجل هذا الخوف لم يكن في وجوه لطف ولا مصلحة فكان هذا مناقضاً لما أثبتوه بخلاف من أرسل من الأنبياء وكذب فإنه بلغ الرسالة وحصل لمن امن من اللطف والمصلحة ما هو من نعم الله عليه وهذا المنتظر لم يحصل به لطائفته إلا الانتظار لمن لا يأتي ودوام الحسرة والألم ومعاداة العالم والدعاء الذي لا يستجيبه الله لأنهم لم يحصل شيء من هذا).

الجواب:

أولاً: قد تقدّم أنّ العلة من الغيبة ليس الخوف فحسب، كما يصوّرها ابن تيمية.

ثانياً: تقدّم في الوقفة الثالثة أنّ وجود الإمام ضرورة، ووجوده لطف إلهي وفيه تمام المصلحة، لكونه فعل الله المعلل بالمصالح وإن جهلها ابن تيمية وأشباهه من ضعاف العقول.

ثالثاً: إنه طعن في مسألة الانتظار وظنها انتظار لمن لا يأتي، وهذا جهل منه لكوننا ننتظر المصلح العالمي الذي بشرت به كل الأديان والملل وإن اختلفوا في مصداقه، فقد آمن به أهل الأديان الثلاثة، ويعتقد به معظم الشعوب. فقد آمن به اليهود والنصارى الزرادشتيون والهنود والمجوس والبوذيون، فنجد النصارى يؤمنون بعودة عيسى عليه السلام بعنوان كونه المصلح المنتظر، وكذا الزرادشتيون ينتظرون عودة بهرام شاه، ومسيحيو الأحباش يترقبون عودة ملكهم تيودور كمهدي في آخر الزمان، وكذلك الهنود الذين يعتقدون بعودة فيشنو، و المجوس الذين يعتقدون

١ـ النساء: ١٥٣.

حياة أوشيدر، والبوذيون الذين ينتظرون ظهور بوذا، والأسبان الذين ينتظرون ملكهم روذريق، والمغول قائدهم جنگيز خان.

وقد وُجد هذا المعتقد عند قدامى المصريين، كما وُجد في القديم من كتب الصينيين [١].

حتى نجد التصريح بذلك من عباقرة الغرب وفلاسفته، حيث صرّح غير واحد بأنّ العالم في انتظار المصلح العظيم الذي سيأخذ بزمام الأمور ويوحد الجميع تحت راية واحدة وشعار واحد.

ومن أولئك الذين صرّحوا بذلك هو الفيلسوف الانجليزي الشهير برتراند راسل، الذي قال: (إنّ العالم في انتظار مصلح يوحد العالم تحت عَلَم واحد وشعار واحد) [٢].

ومنهم آينشتاين صاحب (النظرية النسبية)، حيث يقول: (إنّ اليوم الذي يسود العالم كله الصلح والصفاء، ويكون الناس فيه متحابين متآخين، ليس ببعيد) [٣].

ومنهم الفيلسوف الانكليزي الشهير برناردشو حيث بشر بمجيء المصلح في كتابه (الإنسان والسوبرمان).

وفي ذلك يقول الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه (برناردشو) معلقاً: (يُلوّح لنا أن سوبرمان شو ليس بالمستحيل، وأن دعوته إليه لا تخلو من حقيقة ثابتة) [٤].

ولأصالة هذا المعتقد نجد أصوله في القرآن، فقد فسّر علماء المسلمين بعض الآيات بالمهدي عليه السلام الذي يظهر في آخر الزمان.

فمن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ ۞ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ**﴾ [٥].

١- المهدية في الإسلام - لسعد محمد حسن: ص٤٣، والإمامة وقائم القيامة - للدكتور مصطفى غالب: ص٢٧٠.
٢- المهدي الموعود ودفع الشبهات عنه: ص٦.
٣- المهدي الموعود ودفع الشبهات عنه: ص٧.
٤- برناردشو لعباس محمود العقاد: ص١٢٤.
٥- التوبة: ٣٢ ــ ٣٣.

قال القرطبي: (قال السدّي: ذاك عند خروج المهدي، لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام)[١].

وفي تفسير ابن جزّي: (وإظهاره: جعله أعلى الأديان وأقواها، حتى يعم المشارق والمغارب)[٢].

وفي الدر المنثور: (وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، والبيهقي في سننه عن جابر رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿**لِيُظهِرَهُ عَلى الَّدينِ كُلِّه**﴾، قال: لا يكون ذاك حتى لا يبقى يهودي ولا نصراني صاحب ملّة إلا الإسلام) [٣]. ومنها: قوله تعالى: ﴿**وَلو تَرى إذ فَزِعُوا فلا فَوْتَ وأُخِذُوا مِن مكانٍ قريب**﴾[٤].

فقد أخرج الطبري في تفسيره، عن حذيفة بن اليمان تفسيرها في الجيش الذي يُخسف به، والخسف إنما يحصل في زمن المهدي عليه السلام. وذكر هذا المعنى الكثير [٥].

ومنها: قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذا صِراطٌ مُستَقيم**﴾[٦].

مُستَقيم﴾[٦].

قال الكنجي الشافعي: (قال مقاتل بن سليمان ومن تابعه من المفسّرين في تفسير قوله عز وجل: ﴿**وإنّه لَعِلْمٌ للساعة**﴾ هو المهدي عليه السلام، يكون في آخر الزمان، وبعد خروجه يكون قيام الساعة وأمارتها) [٧].

ومثل هذا التصريح ونجد هذا المعنى عند ابن حجر الهيتمي، والشبلنجي الشافعي، والسفاريني الحنبلي، والقندوزي الحنفي، والشيخ الصبّان [٨].

١- تفسير القرطبي: ج٨ ص١٢١، التفسير الكبير: ج١٦ ص٤٠.
٢- تفسير ابن جزي: ص٢٥٢.
٣- الدر المنثور: ج٤ ص١٧٦.
٤- سبأ: ٥١.
٥- ذكره القرطبي في التذكرة وبه صرّح أبو حيان في تفسيره، والمقدسي الشافعي في عقد الدرر، والسيوطي في الحاوي للفتاوى، وأورده الزمخشري في كشّافه عن ابن عباس، تفسير الطبري: ج٢٢ ص٧٢، وعقد الدرر: ص٧٤ ب ٤ من الفصل الثاني، والحاوي للفتاوى: ج٢ ص٨١، والكشاف: ج٣ ص٤٦٧.
٦- الزخرف: ٦١.
٧- البيان في أخبار صاحب الزمان: ص٥٢٨.
٨- الصواعق المحرقة: ص١٦٢، ونور الأبصار: ص١٨٦، ومشارق الأنوار ـ كما في الإمام المهدي عند أهل السنّة: ج٢ ص٥٨، إسعاف الراغبين: ص١٥٣، ينابيع المودة: ج٢ ص١٢٦ باب ٥٩.

يقول ابن حجر: (الآية الثانية عشرة قوله تعالى: ﴿وإنّه لَعِلْمٌ للساعة﴾ ... قال مقاتل بن سليمان ومن تبعه من المفسرين: إنّ هذه الآية نزلت في المهدي، وستأتي الأحاديث المصرحة بأنه من أهل البيت النبوي وحينئذٍ ففي الآية دلالة على البركة في نسل فاطمة رضي الله عنهما وأنّ الله ليخرج منهما كثيراً طيباً وأن يجعل نسلهما مفاتيح الحكمة ومعادن الرحمة) انتهى.

فبعد ما تقدّم هل يعُد الانتظار منبوذاً وفيه دوام الحسرة ؟!!

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾[١].

وبعد هذا، فلماذا ابن تيمية جزم بعدم استجابة الدعاء قائلاً: (والدعاء الذي لا يستجيبه الله لأنهم لم يحصل شيء من هذا) ؟

والله سبحانه يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٢] ؟!

وأمّا بطلان قوله: (لم يحصل شيء من هذا) فبما تقدّم من إثبات ولادة الإمام محمد بن الحسن عليه السلام.

* * *

١ـ المائدة: ٥٩.
٢ـ غافر: ٦٠.

معطيات الانتظار الأخرى:

من الطبيعي عند كل من يعتقد بالمنقذ العالمي الذي سيأتي في يوم غير معلوم للناس والذي عبرت عنه الروايات بكونه عليه السلام يأتي بغتة، أي: مجيئه في زمن غير محدد وغير معلوم للناس، فهذا يدفع الإنسان لأمور:

١ أن يعيش حالة الاستقامة، ويتقيد بأوامر الشريعة الإلهية، ويبتعد عن مخالفتها، وينصف الآخرين ويتجنب ظلمهم؛ لكون المصلح العالمي سينتصف للمظلوم من الظالم ويبسط العدل في الأرض.

٢ الذي يعتقد بقدوم المهدي عليه السلام بغتة فسيهيئ نفسه للانضمام لجيشه الذي يتشرف بالانضمام إليه كل من كانت طينته طيبة.

٣ سيعيش الإنسان حالة العز والكرامة فلا تنحني أمام ظلم الظالمين وطغيان الطواغيت لكونها تتطلع لمجيء المنقذ الذي سيرفع عنها الذل والهوان، وهكذا يستشري شعور المؤمنين بالمصلح المنتظر إلى أن تصبح الأمة تستصغر جميع قوى الظلم والاستكبار، مما يجعل الإنسان يعيش حالة الصمود والدفاع عن الإسلام.

٤ إنّ في نفس الانتظار جزيل الأجر والثواب كما جاء ذلك عن آل البيت عليهم السلام، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (**المنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله**) [١].

وغيرها من الفوائد الأخرى لهذه العقيدة الشريفة، فلذا نجد أعداء الإسلام حاولوا تمييع هذا الاعتقاد العظيم لكونه يهدم أفكارهم من الأساس فأخذوا يصفون الاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام بالأسطورة، فنجد المستشرق دونلدسن يقول: (إنّ من المحتمل جداً أن الإخفاق الظاهر الذي أصاب المملكة الإسلامية في توطيد أركان العدل والتساوي على زمن دولة الأمويين كان من الأسباب لظهور فكرة المهدي آخر الزمان) [٢].

ويقول جولد زيهر: (على أنه قد تبين أن الاحتكام إلى الله أو ترك الأمر لله الذي كان يتمثل في اللعنات التي كان يصبها الأتقياء والمتذمرون على الأمويين، وكان من الأسلحة التي لا

١- كمال الدين وتمام النعمة: ص٦٤٥.
٢- نقلاً عن كتاب المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة - لعبد العليم البستوي: ص٣٨.

تجدي فتيلا على أنه مهما يكن فقد كانوا يرون أن ما أذن الله به أن يكون أن يعترض عليه إنسان وإذا فلا يسع المرء إلا أن يضع رجاءه في الله الذي سيحكم يوما ما العالم المليء بالمظالم والآثام وتلك هي الآمال الصامتة التي خرجت منها فكرة المهدي التي وفقت بين الواقع والمثل الأعلى وبدأ على أثرها الاعتقاد الراسخ في ظهور حاكم إلهي يوجهه الله توجيها حسناً) [١].

فهكذا راحت الأقلام المأجورة تسطر هذه الكلمات للتشكيك في هذا الاعتقاد الشريف لكي تخلق اليأس في نفوس الأمة.

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾[٢].

* * *

١- نقلاً عن كتاب المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة - لعبد العليم البستوي: ص٣٩.
٢- النساء: ١٥٩.

الوقفة الخامسة:

قال ابن تيمية: (ثم إنّ عمر واحد من المسلمين هذه المرة أمر يعرف كذبه بالعادة المطردة في أمة محمد فلا يعرف أحد ولد في دين الإسلام وعاش مائة وعشرين سنة فضلاً عن هذا العمر، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في آخر عمره أرأيتكم ليلتكم هذه فإنه على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد فمن كان في ذلك الوقت له سنة ونحوها لم يعش أكثر من مائة سنة قطعاً وإذا كانت الأعمار في ذلك العصر لا تتجاوز هذا الحد فما بعده من الإعصار أولى بذلك في العادة الغالبة العامة فإن أعمار بني ادم في الغالب كلما تأخر الزمان قصرت و لم تطل فإن نوحاً عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وآدم عليه السلام عاش ألف سنة كما ثبت ذلك في حديث صحيح رواه الترمذي وصححه فكان العمر في ذلك الزمان طويلاً، ثم أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح، واحتجاجهم بحياة الخضر احتجاج باطل على باطل، فمن الذي يسلم لهم بقاء الخضر والذي عليه سائر العلماء المحققون أنه مات، وبتقدير بقائه فليس هو من هذه الأمة، ولهذا يوجد كثير من الكذابين من الجن والأنس ممن يدعى أنه الخضر ويظن من رآه أنه الخضر وفي ذلك من الحكايات الصحيحة التي نعرفها ما يطول وصفها هنا وكذلك المنتظر محمد بن الحسن، فإنّ عدداً كثيراً من الناس يدعى كل واحد منهم أنه محمد بن الحسن منهم من يظهر ذلك لطائفة من الناس، ومنهم من يكتم ذلك ولا يظهره إلا للواحد أو الاثنين، وما من هؤلاء إلا من يظهر كذبه كما يظهر كذب من يدعى أنه الخضر).

لقد تعرّض في كلامه المتقدم لثلاث شبهات:

الشبهة الأولى:

خلاصة ما يريد تصويره في هذه الشبهة هو عدم إمكانية طول عمر شخص إلى هذا الحد الذي عاشه الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام معللاً ذلك بأحاديث للنبي ﷺ التي بينت بأن أقصى عمر الإنسان مئة سنة في ذلك الزمان، فيكون في هذا الزمان أقصر بحسب العادة، فلذا يكون العمر بين الستين أو السبعين، فكيف يعيش المهدي عليه السلام هكذا فترة من العمر ؟

الجواب: لعل أهم ما يثيره ابن تيمية وأشباهه هو عدم معقولية طول العمر لهذا الحد، بل يُفهم منهم استحالة طول عمر الإمام محمد بن الحسن عليه السلام لهذا الحد، ومن هنا يقتضي الوقوف عند هذه الشبهة بالتفصيل، لكي تنجلي الحقيقة للمنصف وبيان تشويش أصحاب العقول الضعيفة.

أولاً: إنّ القول باستحالة طول عمر شخص لهذا الحد، تارة يكون لعدم قدرة الفاعل، وأخرى لعدم استطاعة القابل.

أمّا قدرة الخالق والفاعل فلا عجز فيها فهي قدرة مطلقة، نعم لا تتعلق بالمستحيلات لا لعجز فيها بل لكون الأمر في نفسه مستحيلاً، ومن هنا ينبغي أن نعرف هل طول العمر للإمام المهدي عليه السلام طيلة هذه الفترة أمراً مستحيلاً ؟

من المعلوم أنّ العقل لا يحكم باستحالة امتداد عمر الإنسان إلى سنين طويلة فوق الحد الطبيعي، فهو ليس مستحيلاً بحكم العقل، نعم هو غير مألوف بحسب العادة البشرية لكن هذا لا يعني كونه مستحيلاً بحكم العقل، فالعقل لا ينكر ذلك ولا يكذبه؛ لذا صرّح الكثير بذلك.

قال وحيد الدين خان: وقد يظن البعض منا أن عمر الأرض يزيد ضعفاً أو ضعفين عن عمر هذه الجبال، ولكن التجارب العلمية تنفي بشدة هذه الظنون الشاذة ، ويذهب البروفسور (سوليفان) إلى أن المعدل المعقول لعمر الأرض هو ألفا مليون سنة [1].

كما وجاء في كتاب المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي: (١ إن التجارب العلمية آخذة بالازدياد لإطالة عمر الإنسان أكثر من المعتاد، وهذه التجارب حثيثة وجادة لتعطيل قانون الشيخوخة، فقد جاء في مجلة المقتطف المصرية ، الجزء الثاني من المجلد ٥٩، الصادرة في آب (أغسطس) ١٩٢١ م، الموافق ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٣٩هـ ص٢٠٦ تحت عنوان (خلود الإنسان على الأرض) ما هذا لفظه: قال الأستاذ (ريمند بول) أحد أساتذة جامعة جونس هبكنس بأمريكا: إنه يظهر من بعض التجارب العلمية أن أجزاء جسم الإنسان يمكن أن تحيا إلى أي وقت أريد، وعليه فمن المحتمل أن تطول حياة الإنسان إلى مائة سنة، وقد لا يوجد مانع يمنع من إطالتها إلى ألف سنة. وذكرت هذه المجلة في العدد الثالث من المجلد ٥٩ الصادر في

١ـ الإسلام يتحدى: ص٧٧.

أيلول من نفس العام ص٢٣٩، إنه في الإمكان أن يبقى الإنسان حياً ألوفاً من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته، وقولهم هذا ليس مجرد ظن، بل نتيجة عملية مؤيدة بالامتحان ....

٢ وفي كتاب صدر حديثاً بعنوان حقائق أغرب من الخيال الجزء الأول ص٢٤ نشر مؤسسة الإيمان بيروت، ودار الرشيد دمشق. جاء فيه: توفي (بيريرا) في عام ١٩٥٥ م في وطنه الأم مونتريا في سن ١٦٦ عاماً، وقد شهد على عمره أصدقاؤه، وسجلات مجلس البلدية، وبيريرا نفسه الذي استطاع أن يتذكر بوضوح كبير معركة كاراجينا (حدثت في عام ١٨١٥ م) ! وفي نهاية حياته أحضر إلى نيويورك حيث فحصه جمع من الأطباء المختصين، ومع أنهم وجدوه محتفظا بضغط دم رجل شاب، ونبض شرياني صحيح وقلب جيد، وعقل شاب، فقد قرروا أنه رجل عجوز جداً أكثر من ١٥٠ عاماً. وجاء في ص٢٣، إن توماس بار عاش ١٦٢ عاماً. على أن السجستاني صاحب السنن قد ألف كتاباً باسم (المعمرون) ذكر فيه الكثير من المعمرين، وفيهم من تجاوزت أعمارهم خمسمائة سنة) [١].

ثانياً: لقد نقل لنا القرآن ما يزيل غرابة امتداد عمر الإنسان فوق الحد الطبيعي، وخصوصاً عندما نقرأ عن نبي الله نوح عليه السلام الذي أقرّ ابن تيمية بكونه امتد عمره (٩٥٠ سنة)، قال سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾[٢]، وهذا غير عمره عليه السلام قبل نبوته.

يقول الفخر الرازي في تفسيره للآية المتقدمة في المسألة الثالثة: (قال بعض الأطباء العمر الإنساني لا يزيد على مائة وعشرين سنة والآية تدل على خلاف قولهم، والعقل يوافقها فإن البقاء على التركيب الذي في الإنسان ممكن لذاته، وإلا لما بقي، ودوام تأثير المؤثر فيه ممكن لأن المؤثر فيه إن كان واجب الوجود فظاهر الدوام وإن كان غيره فله مؤثر، وينتهي إلى الواجب وهو دائم، فتأثيره يجوز أن يكون دائماً فأذن البقاء ممكن في ذاته، فإن لم يكن فلعارض لكن العارض ممكن العدم وإلا لما بقي هذا المقدار لوجوب وجود العارض المانع فظهر أن كلامهم على خلاف العقل والنقل (ثم نقول) لا نزاع بيننا وبينهم لأنهم يقولون العمر الطبيعي لا يكون

١- المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي، مركز الرسالة: ص١٧١.
٢- العنكبوت: ١٤.

أكثر من مائة وعشرين سنة ونحن نقول هذا العمر ليس طبيعياً بل هو عطاء إلهي، وأمّا العمر الطبيعي فلا يدوم عندنا ولا لحظة، فضلاً عن مائة أو أكثر) [١].

وقد صرح أهل البيت عليهم السلام بوجود سنّة الإمام محمد بن الحسن عليه السلام من نوح عليه السلام، وهي طول العمر.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: (**إنّ في صاحب هذا الأمر سنناً من الأنبياء** على نبينا وعليهم السلام **سنة من نوح، وهو طول عمره**، ..) [٢].

ويقول عليه السلام أيضاً: (**ما تنكرون أن يمد الله لصاحب هذا الأمر في العمر كما مد لنوح عليه السلام في العمر**، ...) [٣].

وكذلك الدجال الذي يقرّون بكونه موجوداً، ولذا يقول النووي في باب ذكر الدجال من شرح صحيح مسلم: (قال القاضي هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده، ...) [٤].

فإذا كان ليس مستحيلاً ولا غرابة فيه بعد ما تقدم، فلماذا يستبعد أو لا يتعقل ابن تيمية وغيره بقاء خليفة الله الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام طيلة هذه الفترة.

ثالثاً: لو افترضنا جدلاً أنّ العمر البشري لا يمكن أن يصل إلى أكثر من الحد الطبيعي، إلا أنّ الأمر بالنسبة للإمام المهدي عليه السلام مختلف تماماً لكونه داخلاً في قانون المعجزات، وهي موجودة في تاريخ خلفاء الله سبحانه؛ فهذا إبراهيم عليه السلام قد أُلقي في النار الملتهبة وإذا بها برداً وسلاماً عليه، ﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾ [٥].

وكذلك عودة زليخا زوجة عزيز مصر شابة بعد أن هرمت، وغيرهما من المعجزات الإلهية التي صرّح بها القرآن.

١- تفسير الرازي: ج٢٥ ص٤٢.
٢- الخرائج والجرائح: ج٢ ص٩٣٦.
٣- الغيبة - للشيخ الطوسي: ص٤٢١.
٤- شرح صحيح مسلم: ج١٨ ص٥.
٥- الأنبياء: ٦٩.

فعمر الإمام المهدي عليه السلام ليكن كذلك فهو كما قال الفخر الرازي: (ثم نقول: لا نزاع بيننا وبينهم لأنهم يقولون العمر الطبيعي لا يكون أكثر من مائة وعشرين سنة ونحن نقول هذا العمر ليس طبيعياً بل هو عطاء إلهي، ...)، إذن فعمر الإمام المهدي عليه السلام عطاء إلهي.

وربما يقال: بأنّ ابن تيمية أشار إلى قول النبي صلى الله عليه وآله: (أرأيتكم ليلتكم هذه فإنه على رأس مائة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد)، وهذا يدل على أنّ كل شخص موجود في ذلك الوقت فعمره لا يتجاوز المائة سنة.

أقول: لننقل نص الرواية ثم لننظر ماذا قيل فيها.

روى أحمد في مسنده: حدثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهري، أخبرني سالم بن عبد الله وأبو بكر بن سليمان، أن عبد الله بن عمر: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة صلاة العشاء في آخر حياته فلما سلم قام قال: **أرأيتم ليلتكم هذه على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد**. قال ابن عمر: فوهل الناس مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فيما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة، وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **لا يبقى اليوم ممن هو على ظهر الأرض يريد أن يتخرم ذلك القرن**) [1].

وبعد هذا لنقرأ ما قاله النووي عن هذه الرواية: (قوله صلى الله عليه وسلم: "**أريتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد**"، قال ابن عمر: وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن**"، وفي رواية جابر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر يقول: "**ما من نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذٍ**". وفي رواية أبي سعيد مثله. لكن قال النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك لما رجع من تبوك هذه الأحاديث قد فسر بعضها بعضاً وفيها علم من أعلام النبوة.

١- مسند أحمد: ج٢ ص٨٨، سنن أبي داود: ج٢ ص٣٢٥، سنن الترمذي: ج٣ ص٣٥٤.

والمراد أنّ كل نفس منفوسة كانت تلك الليلة على الأرض لا تعيش بعدها أكثر من مائة سنة سواء قل أمرها قبل ذلك أم لا وليس فيه نفي عيش أحد يوجد بعد تلك الليلة فوق مائة سنة، ومعنى نفس منفوسة أي مولودة وفيه احتراز من الملائكة. وقد احتج بهذه الأحاديث من شذ من المحدثين فقال الخضر عليه السلام ميت، والجمهور على حياته كما سبق في باب فضائله، ويتأولون هذه الأحاديث على أنه كان على البحر لا على الأرض أو إنها عام مخصوص) [١].

لاحظ قوله: (وليس فيه نفي عيش أحد يوجد بعد تلك الليلة فوق مائة سنة، ..).

ومن المعلوم أنّ الإمام المهدي عليه السلام مولود بعد تلك الليلة، فهو غير مشمول بالحديث الذي ذكره ابن تيمية بمقتضى تفسير النووي، فهل يبقى لكلام ابن تيمية وجه ؟؟

رابعاً: إنّ القرآن يحدثنا عن عيسى بن مريم عليه السلام قائلاً: ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ۞ بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً**﴾ [٢].

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله : (**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم**).

وقد أخرج هذا الحديث البخاري في صحيحه [٣]، وأخرجه مسلم في صحيحه [٤]، وأخرجه أحمد في مسنده [٥]، وأخرجه ابن حبان في صحيحه [٦]، وغيرهم.

فربما يكون حال الإمام المهدي عليه السلام كحال عيسى بن مريم عليه السلام، فكما أنّ عيسى عليه السلام مرفوع فكذلك الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، وربما هذا المعنى لا يتعقله الكثير إلا أنّ هذا لا يخدش فيه أبداً، لكون الحق لا يتبع أهواء الناس، ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ**﴾ [٧].

١- شرح مسلم: ج١٦ ص٨٩.
٢- النساء: ١٥٧ – ١٥٨.
٣- صحيح البخاري: ج٤ ص١٤٣.
٤- صحيح مسلم: ج١ ص٩٤.
٥- مسند أحمد: ج٢ ص٣٣٦.
٦- صحيح ابن حبان: ج١٥ ص٢١٣.
٧- المؤمنون: ٧١.

أمّا ما معنى الرفع وما يترتب عليه ؟ فيمكن للقارئ مراجعة كتاب مع العبد الصالح الذي هو أحد إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام فسيجد فيه توضيحاً للرفع وما يترتب عليه من معارف.

وخلاصة ما تقدّم: إنّ امتداد عمر الإنسان فوق الحد المتعارف أمر معقول وغير مستحيل عقلاً، كما أنّ له شواهد كثيرة كعمر نوح عليه السلام وغيره من المعمرين، وكذلك يمكن أن يكون امتداد عمره عن طريق الإعجاز، وثالثاً ربما أنه عليه السلام مرفوع كعيسى بن مريم عليه السلام.

* * *

وربما يقول القارئ لماذا لم تعد الخضر عليه السلام من المعمّرين ؟

أقول: ما تقدّم يكفي بلا حاجة إلى التعرّض لشخص الخضر عليه السلام الذي اضطرب فيه شيخ السلفية ابن تيمية، وهذا ما سنأتي لبيانه في الشبهة الثانية.

الشبهة الثانية:

يقول ابن تيمية: (واحتجاجهم بحياة الخضر احتجاج باطل على باطل فمن الذي يسلم لهم بقاء الخضر والذي عليه سائر العلماء المحققون أنه مات، وبتقدير بقائه فليس هو من هذه الأمة، ولهذا يوجد كثير من الكذابين من الجن والأنس ممن يدعى أنه الخضر ويظن من رآه أنه الخضر وفي ذلك من الحكايات الصحيحة التي نعرفها ما يطول وصفها هنا، ...).

الجواب: ذكر في هذه الشبهة المرتبطة بالخضر عليه السلام ثلاث أمور:

الأول: إدعاء موت الخضر عليه السلام

ادعى ابن تيمية موت الخضر عليه السلام ونسب هذا الرأي إلى العلماء المحققين، والحال تقدّمت علينا عبارة النووي قبل قليل التي قال فيها: (وقد احتج بهذه الأحاديث من شذ من المحدثين فقال الخضر عليه السلام ميت، والجمهور على حياته كما سبق في باب فضائله، ويتأولون هذه الأحاديث على أنه كان على البحر لا على الأرض أو إنها عام مخصوص) [1].

١- شرح مسلم - للنووي: ج١٦ ص٨٩.

فنسب القول بموت الخضر عليه السلام إلى جماعة من الشاذين، وبطبيعة الحال ابن تيمية منهم، وهذا لا يشك فيه عاقل متتبع لآرائه، أمّا الجمهور فيقول بحياته عليه السلام، وإليك بعض عباراتهم في ذلك.

يقول الحافظ ابن الصلاح صاحب المقدمة المشهورة في علم الحديث: (وأمّا الخضر عليه السلام فهو من الأحياء عند جماهير الخاصة من العلماء والصالحين والعامة معهم في ذلك، وإنما شذ بإنكار ذلك بعض أهل الحديث وهو ﷺ وعلى نبيناً وآلهم وسلم نبي واختلفوا في كونه مرسلاً، والله أعلم) [١].

فقد نقل النووي في شرحه لصحيح مسلم قول الثعلبي قائلاً: (وقال الثعلبي المفسر الخضر نبي معمر على جميع الأقوال محجوب عن الأبصار يعني عن أبصار أكثر الناس قال وقيل إنه لا يموت إلاّ في آخر الزمان حين يرفع القرآن) [٢].

وكذلك نقل عنه ابن حجر في فتح الباري: (وقال الثعلبي في تفسيره هو معمر على جميع الأقوال محجوب عن الأبصار قال وقد قيل إنه لا يموت إلاّ في آخر الزمان حين يرفع القرآن. وقال القرطبي هو نبي عند الجمهور والآية تشهد بذلك لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم لا يتعلم ممن هو دونه ولأن الحكم بالباطل لا يطلع عليه الاّ الأنبياء. وقال ابن الصلاح هو حي عند جمهور العلماء والعامة معهم في ذلك وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين وتبعه النووي وزاد أنّ ذلك متفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به أكثر من أن تحصر انتهى) [٣].

١- فتاوى ومسائل ابن الصلاح: ج١ ص١٨٦ مسألة ٣٥ ط . دار المعرفة بيروت سنة ١٩٧٦ م. وأبو الصلاح من كبار علماء السنة.
يقول عنه الذهبي: (الإمام الحافظ، شيخ الإسلام) سير أعلام النبلاء: ج٢٣ ص١٤٠. وقال أيضاً: (كان ذا جلالة عجيبة، ووقار وهيبة، وفصاحة، وعلم نافع، وكان متين الديانة، سلفي الجملة، صحيح النحلة كافاً عن الخوض في مزلات الأقدام، مؤمناً بالله، وبما جاء عن أسماء الله، عن أسمائه ونعوته، حسن البَزَّة، وافر الحرمة، مُعظماً عند السلطان) سير أعلام النبلاء: ج٢٣ ص١٤٢.وقال أيضاً: (وكان مع تبحره في الفقه مجوداً لما ينقله، قوي المادة من اللغة والعربية، متفننا في الحديث، متصوناً، مكباً على العلم، عديم النظير في زمانه) سير أعلام النبلاء: ج٢٣ ص١٤٢. وقال ابن خلّكان: (إذا أطلق الشيخ في علماء الحديث فالمراد هو) مقدمة كتاب فتاوى ومسائل ابن الصلاح: ج١ ص١١ من صفحات المقدمة.
٢- شرح مسلم للنووي: ج١٥ ص١٣٦.
٣- فتح الباري لابن حجر: ج٦ ص٣١٠.

وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية : (وأمّا الخلاف في وجوده إلى زماننا، فالجمهور على أنه باق إلى اليوم) [١].

وقال العجلوني في كشف الخفاء: (وكثير من المحدثين والفقهاء على حياته) [٢].

وقال القرطبي في تفسيره بعد أنْ نقل القول بعدم حياته: (والصحيح القول الثاني وهو أنه حي على ما نذكره) [٣].

ويبينون بقاءه بوجهين لكي يخرجوه من عموم قول النبي ﷺ: (**أريتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد**. قال ابن عمر وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن**).

الوجه الأول: على أنّ الحديث يذكر أهل الأرض إذ النبي ﷺ جاء في الحديث: (ظهر الأرض)، والخضر عليه السلام ليس من سكان الأرض بل من سكان البحر.

والوجه الثاني: إنّ الخضر وإن كان من أهل الأرض إلا أنّ الحديث عام وقد خصص منه الخضر فهو خارج بالتخصيص.

والآن بغض النظر عن صحة هذين الوجهين من عدمها إلا أنهم يعدّونه حياً باقياً، فابن تيمية وغيره ممن قال بموته عليه السلام يعدون من الشواذ كما يقول النووي فلا يؤخذ بقولهم، وقد تقدمت كلمات بعضهم في حياة الخضر عليه السلام.

بل أنّ ابن تيمية أو ما يسمى بشيخ الإسلام نفسه قد وقع في التهافت في كتاباته فقد سئل صحة قول النبي ﷺ الذي يتكلم عن الخضر عليه السلام: (لو كان حياً لزارني)، فأجاب: (وأمّا حياته: فهو حي. والحديث المذكور لا أصل له ولا يعرف له إسناد بل المروي في مسند الشافعي وغيره: أنه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم ومن قال إنه لم يجتمع بالنبي صلى الله

١- البداية والنهاية: ج١ ص٣٠٦ ط . دار الريان للتراث، القاهرة سنة ١٩٨٨، وج١ ص٣٨٣ طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢- كشف الخفاء: ج١ ص٥١٣ طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣- تفسير القرطبي: ج١١ ص٤١.

عليه وسلم فقد قال ما لا علم له به فإنه من العلم الذي لا يحاط به. ومن احتج على وفاته بقول النبي صلى الله عليه وسلم "**أرأيتكم ليلتكم هذه فإنه على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد**"، فلا حجة فيه فإنه يمكن أن يكون الخضر إذ ذاك على وجه الأرض. ولأنّ الدجال وكذلك الجساسة الصحيح أنه كان حياً موجوداً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهو باق إلى اليوم لم يخرج وكان في جزيرة من جزائر البحر. فما كان من الجواب عنه كان هو الجواب عن الخضر وهو أن يكون لفظ الأرض لم يدخل في هذا الخبر أو يكون أراد صلى الله عليه وسلم الآدميين المعروفين وأما من خرج عن العادة فلم يدخل في العموم كما لم تدخل الجن وإن كان لفظاً ينتظم الجن والإنس. وتخصيص مثل هذا من مثل هذا العموم كثير معتاد. والله أعلم) [١].

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾ [٢].

وأمّا إثبات حياته من طرق الشيعة فقد رواه الكثير، وإليك نزراً يسيراً من ذلك:

عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام، قال: (**أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ومعه الحسن بن علي عليه السلام وهو متكئ على يد سليمان فدخل المسجد الحرام فجلس إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس فسلم على أمير المؤمنين، فرد عليه السلام فجلس، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أسألك عن ثلاث مسائل إن أخبرتني بهن علمت أنّ القوم ركبوا من أمرك ما قضى عليهم، وأن ليسوا بمأمونين في دنياهم وآخرتهم، وإن تكن الأخرى علمت أنك وهم شرع سواء. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سلني عما بدالك، قال: أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه، وعن الرجل كيف يذكر وينسى، وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال ؟ فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن فقال: يا أبا محمد، أجبه. قال: فأجابه الحسن عليه السلام، فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلا الله ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنّ محمداً رسول الله ولم أزل أشهد بذلك، وأشهد أنك وصي رسول الله صلى الله عليه وآله والقائم بحجته وأشار إلى أمير المؤمنين عليه السلام ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنك وصيه**

١- مجموع فتاوى ابن تيمية: ج٤ ص٣٣٩، ٣٤٠ طبعة سنة ١٣٩٨ بأمر الملك فهد بن عبد العزيز.
٢- النساء:٨٢.

والقائم بحجته وأشار إلى الحسن عليه السلام ، وأشهد أن الحسين بن علي وصي أخيه والقائم بحجته بعده، وأشهد على علي بن الحسين أنه القائم بأمر الحسين بعده، وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي بن الحسين، وأشهد على جعفر بن محمد بأنه القائم بأمر محمد، وأشهد على موسى أنه القائم بأمر جعفر بن محمد، وأشهد على علي بن موسى أنه القائم بأمر موسى بن جعفر، وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي ابن موسى، وأشهد على علي بن محمد بأنه القائم بأمر محمد بن علي، وأشهد على الحسن بن علي بأنه القائم بأمر علي بن محمد، وأشهد على رجل من ولد الحسن لا يكنى ولا يسمى حتى يظهر أمره فيملاها عدلاً كما ملئت جوراً، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثم قام فمضى، فقال أمير المؤمنين: يا أبا محمد، اتبعه فانظر أين يقصد. فخرج الحسن بن علي (عليهما السلام) فقال: ما كان إلا أن وضع رجله خارجاً من المسجد فما دريت أين أخذ من أرض الله، فرجعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأعلمته، فقال: يا أبا محمد، أتعرفه ؟ قلت: الله ورسوله وأمير المؤمنين أعلم، قال: هو الخضر عليه السلام) [١].

وقد صحح العلامة المجلسي هذا الحديث، فقال: (حديث صحيح) [٢].

ويقول المجلسي: (المشهور بيننا أنه عليه السلام كان نبياً والآن من أمّة نبينا صلى الله عليه وآله ويبقى إلى نفخ الصور لأنه شرب الماء الحياة و هو مؤنس للقائم صلوات الله عليه) [٣].

قال الشيخ المفيد: (وكم ولي لله تعالى، يقطع الأرض بعبادة ربه تعالى والتفرّد من الظالمين بعمله، ونأى بذلك عن دار المجرمين وتبعد بدينه عن محل الفاسقين، لا يعرف أحد من الخلق له مكانا ولا يدعي إنسان له لقاء ولا معه اجتماعاً، وهو الخضر عليه السلام، موجود قبل زمان موسى عليه السلام إلى وقتنا هذا، بإجماع أهل النقل واتفاق أصحاب السير والأخبار، سائحاً في الأرض، لا يعرف له أحد مستقراً ولا يدعي له اصطحاباً، إلاّ ما جاء في القرآن به من قصته مع موسى عليه السلام [٤]، وما يذكره بعض الناس من أنه يظهر أحياناً ولا يعرف، ويظن بعض من

١- الكافي: ج١ ص٥٢٥.
٢- مرآة العقول: ج٦ ص٢٠.
٣- مرآة العقول: ج٦ ص٢٠٦.
٤- لمعرفة القول الفصل وتحديد من التقى موسى عليه السلام راجع كتاب رحلة موسى عليه السلام إلى مجمع البحرين ليماني آل محمد السيد أحمد الحسن عليه السلام.

رآه أنه بعض الزهاد فإذا فارق مكانه توهمه المسمّى بالخضر، وإن لم يكن يعرف بعينه في الحال ولا ظنه، بل اعتقد أنه بعض أهل الزمان) [١].

وقال الشيخ الطوسي: (وقد سبق الخبر عن آبائه عليهم السلام بأنّ القائم عليه السلام له غيبتان، أخراهما أطول من الأولى فالأولى يعرف فيها خبره، والأخرى لا يعرف فيها خبره، فجاء ذلك موافقاً لهذه الأخبار، فكان ذلك دليلاً ينضاف إلى ما ذكرناه، وسنوضح عن هذه الطريقة فيما بعد إن شاء الله تعالى. فأمّا خروج ذلك عن العادات فليس الأمر على ما قالوه، ولو صح لجاز أن ينقض الله تعالى العادة في ستر شخص، ويخفي أمره لضرب من المصلحة وحسن التدبير، لما يعرض من المانع من ظهوره وهذا الخضر عليه السلام موجود قبل زماننا من عهد موسى عليه السلام عند أكثر الأمة وإلى وقتنا هذا باتفاق أهل السير لا يعرف مستقره ولا يعرف أحد له أصحاباً إلاّ ما جاء به القرآن من قصته مع موسى عليه السلام. وما يذكره بعض الناس أنه يظهر أحياناً ويظن من يراه أنه بعض الزهاد ، فإذا فارق مكانه توهمه المسمى بالخضر، و لم يكن عرفه بعينه في الحال، ولا ظنه فيها بل اعتقد أنه بعض أهل الزمان) [٢].

الثاني: إنّ الخضر عليه السلام ليس من هذه الأمة

يريد ابن تيمية أن يثبت بطلان الاحتجاج على طول حياة الإمام المهدي عليه السلام بحياة الخضر عليه السلام بدعوى أنّ الخضر ليس من هذه الأمة، فحتى على تقدير بقائه حياً فهو ليس من هذه الأمة فلا يصح الاستدلال ببقائه على بقاء الإمام المهدي عليه السلام.

فيقول: (وبتقدير بقائه فليس هو من هذه الأمة، ..).

أقول:

أولاً: إنّ ما قاله ابن تيمية غريب جدّاً ولا يصدر من شخص له أدنى حظ من العلم فضلاً عمن أضفي عليه جهلاً لقب شيخ الإسلام؛ إذ بناء عليه لا يصح احتجاج النبي صلى الله عليه وآله على المشركين بحجج الأنبياء السابقين لكونهم ليسوا من الأمة، فهل هذا كلام يصدر من عالم ؟!

١- الفصول العشرة: ص٨٣.
٢- الغيبة - للشيخ الطوسي: ص١٠٩

ثانياً: ما هو الدليل الذي يمكن أن يسوقه ابن تيمية حتى يجعل هذه الأمة مخصوصة بسنة قد انفردت بها، وهي عدم تجاوز عمر أفرادها المئة والعشرين سنة ؟

أعتقد أنّ ما سيقدّمه دليلاً هو قوله المتقدّم وهو: (فلا يعرف أحد ولد في دين الإسلام وعاش مائة وعشرين سنة).

ولا أدري هل شيخ الإسلام استقرأ حياة المسلمين جميعاً استقراءً تاماً وقطع بهذه النتيجة، أم أنّ المسلمين يسجلون تاريخ ولاداتهم ووفياتهم عنده فلذا قطع بهذه النتيجة ؟!

وهل يمكن أن تكون هذه العادة على تقدير ثبوتها مانعاً من بقاء شخص حيّاً بمعجزة إلهية وعطاء إلهي كما تقدّم عن الفخر الرازي [١]، أو يكون مرفوعاً كعيسى عليه السلام ؟!

ثالثاً: نراه يقيد بكون الشخص ولد في دين الإسلام، فيقول في عبارته: (ولد في دين الإسلام) ؟

ولعله أراد أن يخرّج أمثال سلمان الفارسي ولبيد بن ربيعة وأمثالهم ممن ولد قبل الإسلام وعاش في زمن الإسلام أيضاً وعدّ من المعمرين.

قال الكحلاني وهو يتكلم عن سلمان الفارسي (رحمه الله): (وكان رأساً في أهل الإسلام، وقال فيه رسول الله ﷺ: سلمان منا أهل البيت، وولاه عمر المدائن، وكان من المعمرين، قيل: عاش مائتين وخمسين سنة. وقيل: ثلاثمائة وخمسين، وكان يأكل من عمل يده، ويتصدق بعطائه. مات بالمدينة سنة خمسين، وقيل: اثنتين وثلاثين) [٢].

وقال النووي: (لبيد بن ربيعة بن مالك العامري الصحابي الشاعر المشهور كان من فحول شعراء الجاهلية ثم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وحسن إسلامه وكان من

١- قال: (ثم نقول) لا نزاع بيننا وبينهم لأنهم يقولون العمر الطبيعي لا يكون أكثر من مائة وعشرين سنة ونحن نقول هذا العمر ليس طبيعياً بل هو عطاء إلهي، وأمّا العمر الطبيعي فلا يدوم عندنا ولا لحظة، فضلاً عن مائة أو أكثر) تفسير الرازي: ج٢٥ ص٤٢.

٢- سبل السلام - لمحمد بن إسماعيل الكحلاني: ج١ ص٧٧.

المعمرين عاش مائة وأربعاً وخمسين سنة وقيل غير ذلك توفي في خلافة عثمان وقيل في أول خلافة معاوية) [١].

فهما وأشباههم وإن ولدوا قبل مجيء النبي ﷺ ورسالته إلا أنهم يعدّون من أمة النبي ﷺ المسلمة، اللهم إلا أن يكون ابن تيمية ينفرد ويشذ كعادته ولا يعدّهم منها، وهو ليس غريباً عليه.

ثم لو تترلنا معه أيضاً سنجد الكثير ممن (ولد في دين الإسلام) وعاش أكثر من مئة وعشرين سنة، فما قاله منقوض بالواقع المعاش فضلاً عن التاريخ الذي نقل لنا الكثير من قصص المعمرين[٢]، فنقل الكثير وجود أشخاص في هذا الزمان قد ناهز عمره فوق المئة والعشرين الذي جعله ابن تيمية هو الحد الأقصى لأشخاص هذه الأمة، وهذين شاهدين لكي لا نطيل الكلام في هذه النقطة لوضوح سخافتها وتفاهتها.

١ (آنتيسا .. أكبر وحده بالعالم .. عثرو عليها السلطات الجورجيا تملك وثائقها .. عندما كانت جورجيا تحت الاتحاد السوفييتي ... آنيستا من مواليد ٨ يوليو ١٨٨٠ .. وهذا يعني قبل أمس عيد ميلادها الـ ١٣٠ .. عايشه مع حفيدها البالغ من العمر ٤٠ عام .. في منطقة جبلية في جورجيا .. تقاعدت من العمل عام ١٩٦٥ لما كان عمرها بلثمانينات .. بعد ما كانت تشتغل في الزراعة الجاي وهي لا تعرف التكلم باللغة الجورجيا .. لأنها لم تلتحق بلمدارس الحديثة .. فهي تتكلم الغه المحلية فقط .. المنغرليون) [٣].

٢ مُعمّر سعودي عمره ١٨٠ عاماً: (بلغ معمر سعودي منذ عدة أسابيع ١٨٠ عاما بحسب ما ذكرت إحدى الصحف المحلية، والتي أكدت أنه ما زال يتمتع بصحة جيدة ويتنقل ويمارس حياته اليومية حسب العادة، وأنه تزوج تسع مرات وله من الأبناء ١٤ توفي منهم أحد عشر، وبقي على قيد الحياة ثلاثة، ويسكن في بيت من الصفيح في أحد أحياء مدينة نجران جنوب السعودية.

١- المجموع - لمحيى الدين النووي: ج٩ ص٣٩٧.
٢- لقد ذكر الشيخ الصدوق (رحمه الله) في كتابه كمال الدين الباب الرابع والخمسون: ص٥٥٦ فصلاً ذكر فيه العديد من المعمرين، وكذلك الشيخ الطوسي في الغيبة: ص١٠٩، وكذلك الشيخ المجلسي في بحار الأنوار: ج٥١ ص٢٨٨، فقد ذكر المعمرين وأورد أيضاً بحثاً في تطاول العمر: ج٥١ ص٢٦٨.
٣- انظر لمحتويات هذا الرابط ستجد ما ذكرناه في المتن: http://www.q ping.com/٨/٢١٥٨html.

وذكر المعمر علي عطية آل عطية أنه يصحو من نومه وقت السحر، ويبدأ يومه بشرب القهوة العربية وأكل التمر، ثم يمشي على قدميه في أرجاء محيطه البيئي بين الزرع والخضرة، وأشار إلى أنه يعتمد في أكله على ثلاثة أصناف رئيسية هي الذرة والتمر واللبن الطبيعي، ولا يأكل اللحوم مشيراً إلى أنه لا يفضلها حتى في شبابه.

وذكرت الصحيفة أنّ آل عطية عمل مزارعاً وبناء وعسكرياً في عهد الملك الراحل فيصل، ومراسلاً مع الملك الراحل عبد العزيز، وشارك في بناء قصر الإمارة التاريخي أحد المعالم السياحية والأثرية في نجران، وتعاقبت عليه أحداث تاريخية كثيرة.

وعما يتذكره من تاريخ قال آل عطية إنه عاصر الدولة العثمانية والبيزنطية وعاصر حاكم مصر محمد علي باشا، وأضاف أن أكثر ما يذكره هو التغيير الجذري الإيجابي في الحياة من الناحية الأمنية والاقتصادية وعن طبيعة الحياة قديما قال إنهم كانوا يغلون البرسيم مع الماء ويأكلونه من شدة الجوع، وكانت الجزيرة العربية قبل التوحيد قبائل متناحرة متفرقة، القوي يأكل الضعيف وليس هناك أي نظام يكفل حق الضعيف، إلا ما اجتهدت به القبائل وتعاهدت عليه، الأمان والنظام والخير والرخاء في شتى أرجاء الجزيرة العربية، إذ أنه ردع المتسلطين والمستبدين وجعل من شرع الله حكماً ومن كتاب الله دستوراً.

والتقت الصحيفة مع أحد أحفاد أحفاده ويدعى محمد مرزوق صالح والبالغ من العمر ٧٠ عاماً، حيث أكد بشدة صحة عمر جده آل عطية، والذي يعد جداً لجدته، وأوضح صالح أن صلة القرابة هذه تؤكد أن آل عطية قد بلغ العمر الذي يدعيه، ويشعر المعمر آل عطية بالسعادة لأن الله أمد في عمره وأعطاه الصحة والعافية، فلم ينم في المستشفى إلا مرة واحدة وقلما يراجع المستشفيات، وهو تعيس أحياناً أخرى إذ لم يبق من جيله والجيل الذي يخلف جيله أحد، لذا فهو يشعر بالوحدة، وعندما سئل عن أصدقائه أجاب بحسرة (كلهم راحوا راحوا)، و لم تذكر الصحيفة فيما إذا كانت هناك وثائق لدى المعمر تشير إلى عمره، وفيما إذا كان سيتم اعتماده من قبل موسوعة "غنينس" كأكبر معمر في العالم، علماً أن أكبر معمر حالي

حسب تلك الموسوعة هو المعمر الياباني يوكيجي جوكانجي والذي يتجاوز عمره ١١٢ عاماً)[١].

وراجع ما جاء في الوقفة الخامسة أيضاً.

الثالث: إدعاء الكذابين لشخصية الخضر عليه السلام

لا زال كلام ابن تيمية حول الخضر عليه السلام فيقول: (ولهذا يوجد كثير من الكذابين من الجن والأنس ممن يدعى أنه الخضر ويظن من رآه أنه الخضر، وفي ذلك من الحكايات الصحيحة التي نعرفها ما يطول وصفها هنا، ...).

أقول: إنّ مجرد إدعاء أشخاص بكونهم الخضر عليه السلام لا ينفي وجوده، فما ربط وجوده بادعاء الأشخاص سواء من الجن أو الأنس ؟!

ثم من هو الذي ادعى أنه الخضر؟ وبحد تتبعي لم أجد أحداً ادعى أنه الخضر عليه السلام فمن أين جاء ابن تيمية بهذه الفرية ؟!

ثم كيف قطع ابن تيمية بكذب كل من ادعى أنّه الخضر عليه السلام، فهل رؤيته مستحيلة ؟ كيف وأنه نقل عن الشافعي إنّ النبي ﷺ قد اجتمع بالخضر عليه السلام، قال: (بل المروي في مسند الشافعي وغيره: أنه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم ومن قال إنه لم يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد قال ما لا علم له به فإنه من العلم الذي لا يحاط به...) [٢].

فما دامت رؤيته غير مستحيلة فمن أين جاء الحكم بالكذب على كل من ادعى مشاهدته؟

ثم إنه يقر قائلاً: (ومن قال إنه لم يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد قال ما لا علم له به فإنه من العلم الذي لا يحاط به)، فإذا كان من العلم الذي لا يُحاط به فكيف هو أحاط به وادعى تكذيب كل من ادعى مشاهدته ؟! هذا أولاً.

وأمّا إدعاء بعض الجن بكونهم الخضر عليه السلام؛ فكيف وصل ابن تيمية إلى هذه النتيجة، فكيف علم ابن تيمية بأنّ من ادعى هو جني وليس الخضر عليه السلام ؟

١- انظر الرابط تجد ما ذكرناه في المتن: http://forum.net.edu.sa/forum/showthread.php?t=٥٣٣٨.
٢- مجموع فتاوى ابن تيمية: ج٤ ص٣٣٩ – ٣٤٠، طبعة سنة ١٣٩٨ بأمر الملك فهد بن عبد العزيز.

وقد يقال: إنّ ابن تيمية عرف ذلك من خلال الأفعال التي فعلها من ادعى كونه الخضر عليه السلام، فلكون الأفعال لا تليق أن تخرج من هذا العبد الصالح عرف أنه ليس الخضر عليه السلام، هذا مضافاً إلى طبيعة الأفعال التي تنسجم مع أفعال الجن بحسب قدرته على التصرفات التي يستطيع أن يفعلها الجن؛ فلذا حكم بكونه جنياً.

أقول: لابد أن نرى القصص التي ادعى فيها ابن تيمية أنّ كثيراً من كذابي الجن أدعى أنه الخضر عليه السلام، لننظر هل واقعاً تصح النتيجة التي ذهب إليها ابن تيمية أم لا ؟

فما قاله محض تخرّص ليس إلا والتخرّص يمكن لأي أحد قوله.

ومما تقدم يبطل قوله الآتي: (وكذلك المنتظر محمد بن الحسن فإنّ عدداً كثيراً من الناس يدعي كل واحد منهم أنه محمد بن الحسن منهم من يظهر ذلك لطائفة من الناس ومنهم من يكتم ذلك ولا يظهره إلا للواحد أو الاثنين وما من هؤلاء إلاّ من يظهر كذبه كما يظهر كذب من يدعى أنه الخضر).

فمجرد إدعاء البعض لا يعني عدم وجوده عليه السلام، كما أنّه لو ادعى أحد النبوة في زمن محمد صلى الله عليه وآله لا يبطل نبوته وكونه حقاً فكذلك من ادعى المهدي عليه السلام لا يبطل مهدوية المهدي الحق محمد بن الحسن العسكري عليه السلام.

فما قاله ابن تيمية عناد واضح يعرفه كل منصف، فبعد أن ثبت كون الإمام محمد بن الحسن عليه السلام مولوداً بالأدلة المتقدمة، وثبت كونه حياً أدخره الله لبسط العدل ورفع الظلم عن هذه المعمورة، لا تقف هذه الشبهات أمام تلك الأدلة أبداً.

هذا آخر ما أريد قوله في هذا البحث لكي لا أطيل أكثر مما أطلت، وأسأل الله أن يغفر لي ويثبت قدمي على ولاية مهدي العترة وبقية الله في أرضه الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام مع ابنه وفلذة كبده قائم آل محمد سيدي ومولاي أحمد الحسن عليه السلام.

يا من إذا تضايقت الأمور فتح لها باباً لم تذهب إليه الأوهام، افتح لأمور مولاي محمد بن الحسن وابنه (عليهما السلام) وأنصارهما باباً لم تذهب إليه الأوهام، وأرنا نصرك القريب

ووعدك الذي وعدتنا إياه بقولك: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1].

والسلام على بقية الله في أرضه، وولده الشريد الطريد، وأنصارهما الكرام ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآل محمد الأئمة والمهديين وسلم تسليماً كثيراً.

تم الفراغ من هذا البحث في ليلة عيد الفطر المبارك ١٤٣٢ هـ.

* * *

١- الأنبياء: ١٠٥.

الفهرس

الإهداء ٥
مقدمة ٧
تمهيد ١٥
أخطاء منهجية ١٥
طريق إثبات المسائل التاريخية ٢١
ابن تيمية في سطور ٢٥
العلماء الذين تصدّوا لأبن تيمية الحراني ٢٧
شبهات ابن تيمية ٣٣
الرافضة ٣٥
الوقفة الأولى ٤٢
أولاً: علماء الأنساب السنة يثبتون ولادة الإمام المهدي عليه السلام ٤٥
ثانياً: من قال بولادة الإمام المهدي عليه السلام من أهل السنة ٥٠
كيف يثبت ولادة شخص عند جميع العقلاء ؟ ٦٠
أولاً: شهادة أبيه بولادته ونصه عليه ٦٢
ثانياً: شهادة من رأى الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام في الغيبة الصغرى ٦٤
شهادة السيدة الفاضلة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام ٦٤
شهادة من رآه غير السيدة حكيمة ٧٥
ثالثاً: استنابته في فترة الغيبة الصغرى للنواب الأربعة ٧٨
شبهات يتعلل بها البعض ٨٤
الأولى ٨٤
الثانية: الاختلاف دليل العدم ٨٨
ثالثاً: إنكار عمه جعفر لولادته دليل على عدمها ٨٩
رابعاً: شبهة الوفاة بعد الولادة ٩٠
الوقفة الثانية ٩٢
الشبهة الأولى: شبهة السرداب ٩٢
الشبهة الثانية: كيف يكون إماماً مع كونه صغيراً محجوراً عليه ؟ ٩٨
الوقفة الثالثة ١٠٤

الشبهة الأولى: عدم وجود فائدة منه في حال الغيبة ١٠٤
وجود أهل البيت (عليهم السلام) أمان للأمة ١٠٧
أهل البيت كسفينة نوح عليه السلام ١٠٨
الشبهة الثانية: وجود الإمام في غيبته شر محض ١١٣
أسباب غيبة الإمام المهدي محمد بن الحسن عليه السلام ١١٤
الوقفة الرابعة ١٢٠
معطيات الانتظار الأخرى ١٢٧
الوقفة الخامسة ١٢٩
الفهرس ١٤٧

والحمد لله رب العالمين